مكتبتنا العربية

ة ذو القعدة سنة ١٣٧٤

مجلة القرآن

إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم

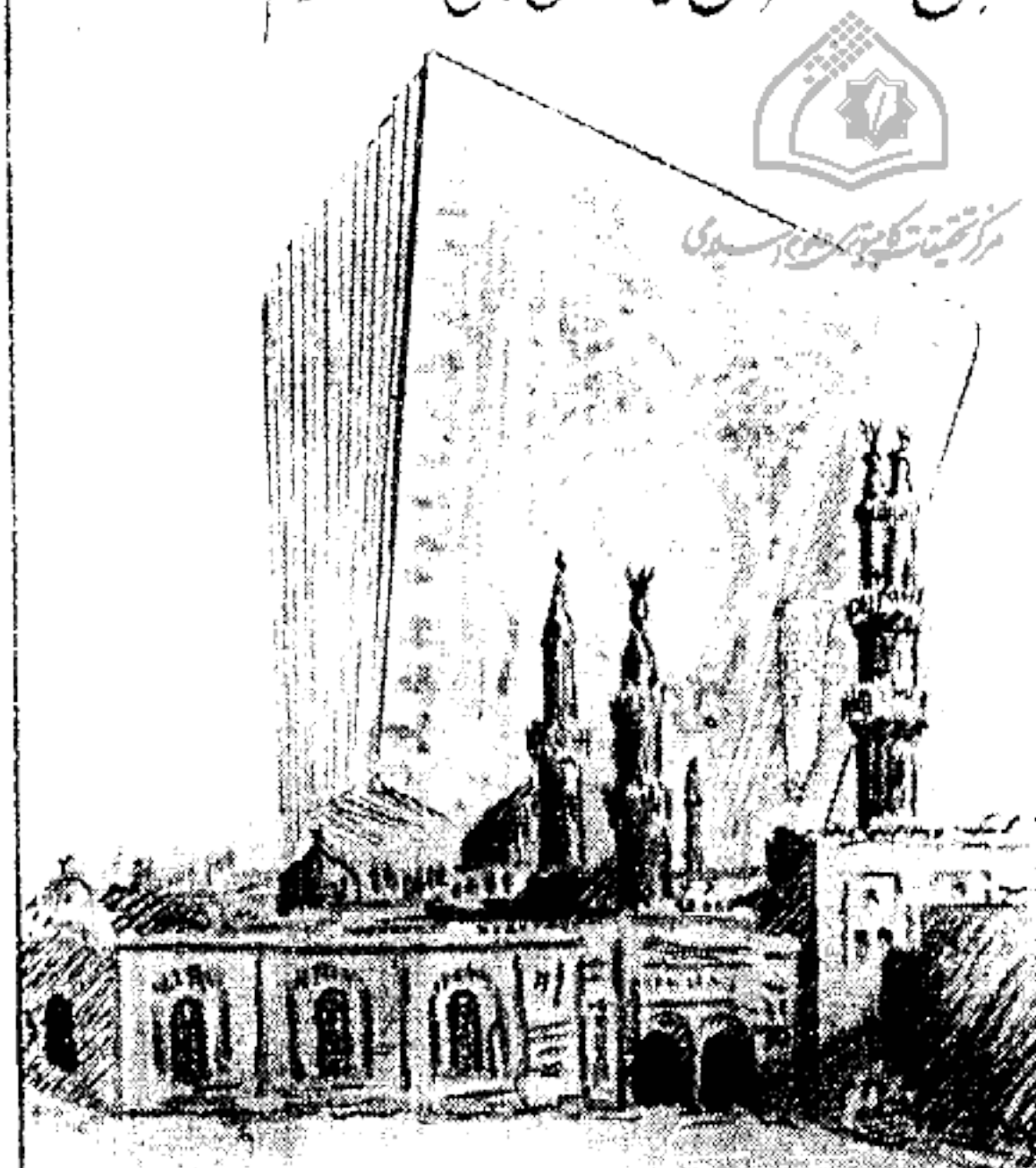

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الثمن ٤٠ مليما

مكتبتنا العربية

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
مليم
٤٠٠ فى وادى النيل
٤٠٠ لطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ لطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر - القاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

القاهرة فى غرة ذى القعدة ١٣٧٤ - ٢١ يونيه ١٩٥٥ - الجزءان ١٩ و ٢٠ - المجلد السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

حكم صالح، لمجتمع صالح

على ضفاف النيل

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تنعم مصر الآن بكل الاسباب التى تعين على قيام المجتمع الصالح، وعلى أن يتمتع ذلك المجتمع الصالح بنظام وطيد للحكم الصالح، فما الذى يمنع مصر من إصلاح مجتمعها، ومن إقامة نظام الحكم الصالح له ؟!

هذا النيل يجرى بالخير والرزق والبركة فى أرض مصر من أعلاها إلى أدناها، فيملأ أرضها رياً وحياة وجمالا. ثم يفيض بما تزهد به مصر من فيض ريه وحيائه وجماله، فتتحدر لجج منه كالجبال فى البحر المالح، ولو شاءت مصر لضنت بقطرة منه أن تذهب فى البحر بلا فائدة.

وهذه الأيدى العاملة فى مصر تزدحم مصر بأصحابها ازدحاما هو خير ذخر لها فيما ترسمه من خطط للتصنيع، وما تنتويه للمساحات الزراعية من توسيع. ثم إنه ردؤها القوى لإنماء جيشها وحماية حماها.

مكتبتنا العربية

والذكاء فى مصر تضرب به الأمثال بين الأمم ، وهو — كالنيل — هبة من هبات الله التى تزخر بها مصر ، وكان من حق هذه النعمة الإلهية علينا أن نحسن استغلالها فى إقامة المجتمع الصالح ، لننعم بعد ذلك بالحكم الصالح ، فنكون فى طليعة الأمم نشاطا وعملا وإنتاجا وكسبا وتمتعا بالحلال الزكى الطيب .

كنا نشكو الاستعمار وكابوسه الثقيل يوم كان يتحكم فى مواردنا وينابيع ثروتنا وسوء توجيهه لجهودنا ، حتى رفعه الله عنا .

وكنا نشكو الإقطاع الزراعى واستئثار القلة من أهله بالأرض التى هى مصدر الرزق من دون العاملين فيها ، فعدل الدهر بين العاملين فى الأرض والذين كانوا يمتصون جهودهم ، ويستأثرون بثمرات عملهم .

كنا نشكو تكتل أذكياء المتعلمين بشكل أحزاب صرفت هذا الوطن عن أهدافه ، فكانت — كما قال عنها جمال عبد الناصر — « الداء الذى حتّم معنى الحرية : من حرية الأغلبية إلى حرية الأقلية » ، فأزال الله الأحزاب وأراح الأمة من أنانيات زعمائها وفتنتهم وفساد قلوبهم .

والآن وقد أوشكت « فترة الانتقال » أن تنتهى إن شاء الله بانتهاء هذه السنة الشمسية ، فقد أعلن الرئيس جمال عبد الناصر — فى مأدبة الإفطار التى أقامها له ضباط القوات المسلحة ليلة القدر من سلخ رمضان الماضى — أن الثورة الاجتماعية تطلب أن تقوم حياة الغالبية فى مصر على عدالة اجتماعية تتحرر بها الأرزاق ، ويشعر كل فرد أنه يعيش فى وطن تتكافأ فيه الفرص ، فيستطيع أن يقول ما يريد أن يقول ، ولا يحيا مهدداً فى رزقه ولا فى أولاده ولا فى مستقبله . ولابد لتحقيق ذلك من إقامة مجتمع اشتراكى فى هذا الوطن حتى يحكم هذا الوطن باسم الأغلبية ، وليس باسم الأقلية . وإقامة العدالة فى وطن تمكنت فيه عوامل الشر يحتاج إلى إجراءات استثنائية حتى يمكن أن يقوم الوضع فى هذا الوطن عند هدف واحد هو إقامة مجتمع اشتراكى تتقارب فيه الفوارق .

هذا الكلام الذى عرضته فى الفقرة الأخيرة يكاد يكون كله من كلام الرئيس جمال عبد الناصر ، مما تحدث به إلى ضباط القوات المسلحة ليلة القدر من رمضان الماضى ، وذاع عقب ذلك فى أرجاء العالم ، وقد دعا جمال عبد الناصر ذوى الرأى فى الأمة إلى إبداء

مكتبتنا العربية

آرائهم فى المجتمع الصالح الذى يراد إقامته فى مصر من أول السنة الشمسية القادمه ، وفى الحكم الصالح اللائق به ، فامتلأت صفحات الصحف بمقالات أساتذة القانون وأعلام الفقه الدستورى ، وكلها ترجع إلى هذه النظم الأجنبية عنا ، وتنميق الفصول الإنشائية والتفصيلات الدراسية عن أنواعها وتطوراتها : من ديمقراطية سياسية إلى ديمقراطية اقتصادية واجتماعية ، وعن صنوف الانتخابات وتحكيم العوام والأميين فى اختيار الخاصة والممتازين ، وهل يكون ذلك بانتخاب مباشر أو بالانتخاب ذى الدرجتين أو الانتخاب النسبى أو الانتخاب بالقائمة . وهل لا بد لذلك من قيام الأحزاب ، أم يمكن الاستغناء عنها بأخذ « العينات » أو بغير ذلك . وهناك مقالات الاعتذار عن فشل هذا التمثيل وأساليبه وإفلاسهما عندنا فى الماضى وعيوبهما المفضوحة فى الشرق والغرب من أوربا إلى أمريكا . ولم تعدم الصحف كلمات حق أرسلها بعض أهل البصيرة لنقض ما تحدث عنه سدنة الفقه الدستورى الأجنبى دفاعا عن مسطوراته وأساطيره ، فتحدث الأستاذ السيد سنى اللقانى عن المجالس النيابية وأعلن أنها لا تصلح - بتكوينها - للتشريع ، ولم تكن يوما من الأيام فى أى بلد من بلاد العالم مصدر ابتكار أو تشريع ، بل ظلت رسالتها مقصورة على إقرار التشريعات أو رفضها بعد نقاش غالبه هزيل . كما أعلن الحقيقة المشاهدة فى الشرق والغرب ، وهى أن أعضاء المجالس النيابية وليدو الصدفة المجردة ، واختيارهم إلى مصاف النيابة لم يكن مرده - يوما من الأيام - إلى حذق ، أو مهارة ، أو حنكة ، أو دراية ، أو تفوق فى العلوم والفنون . بل مرده إلى حزبية ، أو نفوذ ، أو ثراء ، أو اتصاف بالتصدق والإحسان ، أو مقدرة فى مجال الخطابة والمساجلة ، وكثيراً ما يكون الدجل والشعوذة من أسباب النجاح فى هذا المعترك . والمدهش حقا أن مستوى الكفاءة فى برلمانات العالم أخذ فى الهبوط ، فى الوقت الذى تعددت فيه التبعات ، وتشعبت المسائل العامة وتعقدت حتى شملت من الاقتصاديات والاجتماعيات ما لم يكن للناس به عهد ، وما لا يقوى عليه إلا كل محترف ماهر متفرغ . وقال عن الانتخاب : إنه يجمع إلى مثالبه - التى منها الحزبية - أنه لا يخرج طائفة تمثل الأمة بالمعنى الذى يستفاد من هذا اللفظ . ولاقتناع واضعى الدساتير بأن الانتخابات لا تأتى بالذين يجب أن يمثلوا الأمة تذرعوا بحلول أخرى كإقامة مجلس ثان يعين بعض أعضائه بالاسم وهم من طراز لم تكن

مكتبتنا العربية

الانتخابات لتدركه أو تزكيه . فمجلس الشيوخ قصره الشارع على طائفة المعمرين ليملأ ما حسبه فراغا لا يسده الانتخاب الطليق .

ويقول الدكتور محمد عبد الله العربي : ان هنالك أزمة جارفة فى النظام البرلمانى اجتازها العالم فى خلال القرن العشرين ، حتى زهد كثير من الشعوب فى هذا النظام ، وتطلعت فى ظلمة اليأس إلى دكتاتورية صالحة تتركز فيها المسئولية وتقيها مساوىء النظام البرلمانى ، فالنظام الانتخابى يتطلب صفات فى المواطن قلما توافرت فى كثير من الدول التى اقتبست هذا النظام ، بل لا تزال إلى الآن ناقصة فى أرقى الدول ، وأساليب الانتخاب وإجراءاته قد ثبت عجز أكثرها عن الوصول إلى حقيقة رأى الأغلبية . والنظام الحزبى اصطنعه كثير من الدول التى استوردت النظام البرلمانى ، وكان من أثر هذا الاصطناع أن صارت الأحزاب فى كثير من هذه الدول أشبه بعصابات تتكافح من أجل مغانم الحكم ، واقترن انتصار كل حزب منها بكل المفاسد البشعة فى الحياة العامة وفى الأداة الحكومية . وكان تعدد الأحزاب النكبة الكبرى التى أصابت جهاز الحكم ، وحرمته من الاستقرار ، وأعجزته عن إمكان التزام سياسة قومية رشيدة ، وكان مبعث التعدد فى الغالب خلافات نظرية جوفاء أو تزاحم على الزعامات فيها . هذه بعض العلل التى أصابت النظام البرلمانى حتى فى أرقى الدول ، وقد كابدنا فى مصر هذه المساوىء مجتمعة ، فكان نظامنا الحزبى أسوأ مثال للنظام الحزبى فى أية دولة برلمانية . والدكتور العربى لا يقول هذه الحقيقة الآن بعد أن سخط الله على الأحزاب فى مصر وأنزل عليها صواعق غضبه ، بل سبق له تسجيل ذلك فى كتابه (سياسة الاتفاق الحكومى فى مصر إلى سنة ١٩٤٨) وهو كتاب طبع ونشر قبل سبع سنوات وشرح فيه الضرر البليغ الذى عاد على جميع المرافق العامة من اندفاع الأحزاب فى خدمة مطامعها وأنانياتها ومآربها الحزبية .

وبعد فإن القائمين على شئون مصر عزموا على إنهاء فترة الانتقال التى كانت مقدرة بثلاث سنين ، وقد أطلقوا للأقلام حريتها فى أن تشير على مصر بالنظام الصالح الذى يليق بها بعد فترة الانتقال ، والمستشار مؤتمن ، ومن الخيانة لله وللأمة أن يكتم المستشار ما يؤمن به من حق إذا سئل عما يعلمه .

مكتبتنا العربية

والذى أعلمه أنا أن نظم الحكم فى أمة لاتستعار لها من أمم أخرى ، وقد أقنا البراهين فى هذا المكان من هذه المجلة مرات كثيرة على أن الذى تأخذه أمة من أمة هو الصناعات والعلوم العالمية المحضة ، أما مايتصل بسجايا كل أمة وما له مساس بكيانها وثقافتها ومواريثها فيجب أن يكون منها ولها ، ويجب أن تتفرغ عقول ذوى العقول منها ، ودروس أهل الدرس والعلم من أبنائها ، لمداواتها بأدويتها ، ومعالجتها بما يوافق أمزجتها ، واستنباط أنظمتها من سننها المحترمة عندها ، ومن مواريث التشريع التى تؤمن هى بها .

لما انتهت الحرب العالمية الثانية كانت وزارة تشرشل غير حزبية ، وكان حزب العمال يشترك معه فى الحكم ، وكان اتلى يرجو إذا أجريت انتخابات جديدة أن يفوز حزب العمال بالانفراد فى الحكم والتخلص من تشرشل ، فكان يلح بتجديد الانتخابات ، ويعتذر تشرشل بتعذر إجرائها لاسباب متعددة منها أن نسبة كبيرة من الناخبين موزعة فى الجيوش المعسكرة فى خارج البلاد ، فطلب منه اتلى أن يجرى استفتاء ، فكان جواب تشرشل : ان « الاستفتاء » نظام أجنبى (أى أمريكى) ، وليس من الخير لبريطانيا أن تطرأ عليها نظم غريبة عنها .

نعم ، ليس من الخير لأمة لها مواريث من نظمها وتشريعاتها أن ترتمى فى أحضان النظم الاجنبية عنها وتتنكر لمواريثها فى الإدارة والتشريع والحكم . وهذا النظام الأجنبى السخيف الذى يقول بتحكيم العوام والأميين فى اختيار الخاصة والممتازين قد بدت عيوبه فى كل مكان ، وقد استشهدنا على ذلك بما نقلناه آنفا من أقوال غير واحد من علماء القانون الدستورى . وعندنا نحن نظام « أهل الحل والعقد » ، ولا أحب التوسع فى الحديث عنه لانه كسائر أنظمتنا يقوم على « الأخلاق » ، ونحن أمة قد أفسد أخلاقها الاستعمار وأزمنة الانحطاط التى تقدمت عليه وكانت من أسباب وقوعنا فى مصائبه . فمن الخير لهذه الأمة ، بل من حقها على كل من بلى شيئاً من أمورها أن يرد عليها أخلاقها ، وأن ينقذها من بقايا الاستعمار الفكرى الذى لايزال متسلطا على مدارسنا وجامعاتنا فى مناهجها التى تأبى أن تعترف بثقافتنا الصميمة وكياننا الأدبى ومواريثنا العلمية والتاريخية ، ولا تزال ترى أن التقدم كل التقدم والترقى كل الترقى فى إبعاد هذه الأمة عن دينها وماضيها ، وفى أن تصبغ بالصبغة الأجنبية فى ثقافتها وميولها واقتناعاتها وإيمانها وتشريعها . فهذا النظام النيابى الفاشل المفلس الذى كنا ضحيته فى الماضى ، ولا يزال الجامعيون ورجال القانون مؤمنين به ، هو فرع من هذا

مكتبتنا العربية

الأصل الذى تسير عليه جامعاتنا ، وهو الإلحاح فى فصلنا عن ماضينا ، وصبغنا بالصبغة الأجنبية التى رسم لنا الاستعمار خططها من أواخر القرن التاسع عشر فآمن بها الكثرة الكاثرة من تلاميذها الذين يتبوأون الآن مقاعد التدريس والتوجيه ، وإن الشر كل الشر فى مواصلة السير على هذا الطريق الذى لن نكون به إفرنجا كالإفرنج ، ولن نبقى به عربا مصريين مسلمين كما ينبغى أن يكون العرب المصريون المسلمون .

إن تعليمنا الجامعى يجب أن يكون للعلم العالمى المحض فينقله إلى مصر وإلى الشعوب العربيه والأمم الإسلامية نقلا كاملا بأرقى ما وصل إليه فى بلاد العلم . ومن سعادة مصر والشعوب العربية والأمم الإسلامية أن يكثر فيها خريجو كليات الهندسة والزراعة والطب والعلوم الطبيعية والكيماوية والفنون الحربية والمدارس الصناعية . أما الفلسفة والآداب والتشريع والثقافة فيجب أن ننقذها حالا من الإقطاع الاستعمارى ، وأن نصبغها بلا تردد بصبغتنا ، فنرد إلى شبابنا المتعلم إيمانه بقوميته وملته وتاريخه وكيانه ، ونجنده لهذه الدراسات التى سنرجع إليها فى نظام حكمنا وأساليب إدارتنا وتطور تشريعنا . وكل ما نحاول فى أول السنة الشمسية القادمة العمل به من أنظمة الحكم فسيكون هو نفسه فترة انتقال أخرى ، وسنعمل به مؤقتا إلى حين ، أى إلى أن يرجع لجامعاتنا إيمانها بقوميتها وبماضى هذه القومية وتشريعها الأصيل .

وهذا أيضاً لايكفى إلا إذا كان مقرونا بالأخلاق ، وما دامت دور الصحافة والنشر دائبة على هدم الدين والأخلاق ودفع الأمة فى طريق التحلل وشغل عقول القراء بالشهوات والبعد عن صلابة الرجولة وسلامتها فلن ينفع هذا البلد تشريع ولا نظام حكم ولن ينجح فيه ولا عمر بن الخطاب لو أنه تولى حكمها ، لأن عمر بن الخطاب إنما نجح فى إقامة الحكم العادل السليم الرحيم ، وإنما نجح فى تحرير الأمم وإنقاذ الممالك من الاستبداد والظلم ، بالأخلاق التى امتاز بها رجال من أهل الإيمان والدين استعان بهم وأعانوه ، فكانوا المثل الأعلى للحكم الصالح .

يقول البكباشى حسين الشافعى وزير الشئون الاجتماعية فى كلمة له بمناسبة عيد الفطر : « قبل اليوم بأكثر من عشرة قرون ظهر الإسلام يدعو بقوة إلى التعاطف الإنسانى ، وإلى الطهارة فى النفوس والقلوب ، وإلى الإخاء والحرية والمساواة ، وأن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون . ودعوة الإسلام دعوة اشتراكية بحتة ، ولكنها تختلف

مكتبتنا العربية

عن الاشتراكية بمعناها الذى يقتصر على الناحية المادية وحدها ، فإن الإسلام يدعو إلى الاشتراكية الروحية الوجدانية ، وأن يشارك أغنياء المسلمين فقراءهم ، وأن تقوم هذه المشاركة على أساس من التعاطف والتآخى . كما تختلف اشتراكية الإسلام عن اشتراكية الغرب بأنها تخضع المصالح الفردية لدواعى الحاجة الاجتماعية ، وتقارب بين الطبقات دون إلغاء هذه الطبقات ، وتسوى بين الأفراد عن طريق تحسين حال الطبقات الفقيرة ، أى أنها تعلى المجتمع والفرد معاً فى جو من المحبة والمساواة والسلام والعدل ، ولا تسعى لخدمتها عن طريق الضغط وكبت الحريات وإذلال رأس المال » .

ليكن نظام الحكم الذى سنستقبله فى العام الآتى مايكون ، فكل عمل طيب يقره الإسلام ، وكل عدل وإصلاح فهو من الإسلام . أما نظام الحكم الحقيقى الذى يجب أن يكون لنا إلى الأبد فلا يقوم إلا على علم بماضينا وثقافتنا واشتراكيتنا وأساليب حكمنا ، وهذا يتوقف على تجديد جامعاتنا لإيمانها ، واقتصارها على العلم المحض فى أخذ ما نأخذه عن الغرب ، وتعاونها مع الأزهر وعلماء الإسلام فى فهم الإسلام وتاريخ المسلمين وفقههم وسننهم وأنظمتهم ، وكلما عجلنا فى إصلاح جامعاتنا والمدارس التى تغذيها بطلابها ، كان ذلك خيراً للبلد وأقرب لليوم الذى نعرف به تشريعنا وأنظمتنا الصحيحة .

ونظام الحكم الحقيقى الذى يجب أن يكون لنا إلى الأبد لايقوم فى الدولة إلا على أخلاق قويمة فى المنزل والسوق والمجتمع . وما دامت صحفنا ودور النشر عندنا تبتهج بكل زنديق مفتون هادم للإسلام فتعلى قدره وتوهمه أنه مصلح وأنه على صواب فيما يعمل ، وما دام نصف صفحاتها مشحوناً بالحديث عن الفاحشة وتصوير السيقان ومهيجات الشهوات والغرائز ، فلن تكون لنا أمة ذات أخلاق ورجولة تستحق أن تعيش فى المستوى الكريم بين الأمم .

أنقذوا الأمة من إقطاعيات الدعوة إلى الفاحشة .

أصلحوا مناهج المدارس والجامعات وجددوا لها إيمانها .

أعدوا للحكم الصالح عدته من النفوس والدروس وإيمان الأمة بنفسها . وكل حكم يقربنا بعد ذلك من هذه الغاية فهو حكم مقبول وعاقبته إلى خير إن شاء الله .

محب الدين الخطيب

مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

- ٣٠ -

أباطيل العمل، وكواذب الامل

لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم

١ — تمهيد :

للجانب الخلاق منهج فسيح فى نسق الكتاب العزيز ، إذ القرآن باعتباره دستوراً إصلاحيا سماويا يحرص على النهوض بالإنسان إلى المثالية الحقة . أو المثالية التقريبية إذا وقفت دون الأولى موانع ، أو لم تتهيأ لكل امرئ بواعثه فى التطلع إلى مرقاتها العليا . فعند ذلك يكون الكمال النسبي غاية مرجوة بقدر الإمكان .

ومتابعتنا الآيات التى عرضت للتهذيب ، واتجهت إلى التربية ، تهدينا إلى أساليب عدة ، انتهجها القرآن فى اجتذاب الإنسان إلى ناحية الخير لنفسه ، ولمجتمعه ، بل وللمجتمع العام .

وإذا كانت مباحث المصلحين من الفلاسفة وسواهم فيما كتبوا أحاطت بكل ما اهتدوا إليه من عيوب فى الخلق ، ومن توجيهات إلى إصلاحه ، وإذا كانوا غالبا على صواب فى كثير مما كتبوا وفيما نصحوا ، فلن يكون لهم ما للقرآن من كل ناحية ، ولن يسبروا الغور الذى يسبره القرآن ، فإن حديثهم — إيجابا كان أو سلبا — مستمد لدى الفلاسفة من التجارب ، ومن هدى العقول ، ومن تجاوب فكرة مع فكرة .

وذلك كله - وإن بلغ مبلغ الاستحسان - محدود فى نطاق الفكر البشرى .

والبحث الفكرى قد يطابق الزمن فى بعض مراحله ثم لا يساير الزمن بعد .

أما حديث القرآن عن الخلق فهو حديث العالم بالنفوس ونزعاتها ، وهو فى توجيهاته

مكتبتنا العربية

يضرب الأمثلة من الواقع الذى تورط فيه الناس ، وجرت أحداثه على مسرح الحياة ، وكان له من الأثر قديما ما يجدر بنا الاعتبار به ، فإن سنة الله فى خلقه لا تتبدل ، ضرورة أنها ليست وليدة التجارب ، وإنما هى أقدار علوية لا تدركها مواهبنا ، ولا تدفعها قوانا... ثم الفلاسفة المصلحون يمتدحون ما يمتدحون ، ويعيبون ما يعيبون من الأخلاق ، بالقياس إلى ما يعرفون من أضرار تنجم عن مساوئ الخلق ، أو منافع تقترن بمحاسنه ، وما أوتى الناس من العلم إلا قليلا .

ولكن القرآن أفسح من ذلك مجالا . دون مقارنة أو تشبيه ، والقرآن لا يقف من إصلاح الأخلاق موقف القصص فحسب ، بل يرتب على الحسن والقبيح من أخلاق الناس وأعمالهم جزاء أخرويا ، ويفسح فى ترغيبهم وترهيبهم .

ويحبب إليهم الخير وإن قل ، ويباعدهم عن الشر وإن قل . ففى الخير يقول : ـ إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا . فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ـ وفى الشر يقول : ـ كل نفس بما كسبت رهينة . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

ووعده فى الخير وعد من لا يضن بالفضل يسبغه على حسنى الخلق وإن تجاوز كفاءهم أضعافا مضاعفة . إذ الفضل بيده يؤتيه من يشاء .

ووعيده فى الشر إبعاد من يقدر على الإنجاز غير مزاحم فى سلطانه ، ولا مغلوب على أمره ، إذ الناس لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشورا . وهو القاهر فوق عباده . .

٢ ـــ وبعد هذا التمهيد نلتفت نحو الآية التى تخيرناها موضوعا لحديثنا اليوم . . ففيها ألوان من الخلق والمسالك يعيبها القرآن على أهلها ، ويرغب إلينا أن نتحاشاها لنسلم مما لم يسلموا منه ، ولا نكون معرضين لما استقبلوه فى أخراهم .

كان من أولئك : ـ

(١) أن ينزعوا إلى الشر . (٢) وأن يفعلوه فرحين به .

(٣) وأن يصدفوا عن الخير كراهية له . (٤) ولكنهم ينتحلون فعله ، ويلتمسون الثناء عليه زوراً .

مكتبتنا العربية

وإذا كان النزوع إلى الشر ، واقتراف السيئات مع الناس ، مما يعاب خلقا ، أو يذم ديناً ، فأنكى من ذلك وأقبح منه أن يكون المسيء شاعراً بنقيصته ، ولا يحاول الكمال بل ينتحله ، ويدأب على المخادعة ليغتصب الثناء ، ظانا أن هذا نصيب يكفى لاحتسابه من ذوى المروءات وأهل الخير . ولأن هذه المخادعة شين شائن فضح القرآن أمر المتخلقين بها ، ونددبهم فى أسلوب لاذع مزعج .

فأنت تراه فى تنديده يجمل الحديث فى مخازيهم فلا يذكرها تفصيلا ، وإنما يصفهم بنزعاتهم التى هى جنوحهم إلى الشر وفرحهم به ، ورغبتهم إلى المدح بما لم يفعلوا . ثم يصب عليهم غضبه ، ويقسو فى تهديدهم بالعذاب ، والعذاب الأليم .

وأنت تراه لم يوجه إليهم خطابه فى هذه الآية ـ لاتحسبن الذين الخ . ولم يفرضهم على مقربة ، ولا على مسمع من كلامه ، بل افترضهم غائبين لا يرغب فى هدايتهم ، ولا ترجى منهم مطاوعة .

فساق الحديث عنهم إلى رسوله ومن يصلح للخطاب من المستجيبين مساق التنصيص على معايبهم ، ومساق العبرة لمن ينصت إلى الدعوة ، وينتهز العبرة فيأخذ منها لنفسه . وساق الحديث عنهم مساق التصحيح لما يتوهمه الواهم فى شأن هؤلاء الفرحين بالسوء : من أن أمرهم قد لا يفحش ، وأن خطرهم قد لا يعظم ، فنهى النبى ـ صلوات الله عليه ـ ومن يستجيب له أن يخطر ببالهم ذلك الوهم ، أو يهون عندهم ذلك التخلق بما ورد فى الآية : ـــ

« لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم »

وليس بلازم أن يكون النبى ـ صلوات الله عليه ـ قد احتسب لهم النجاة من العذاب حتى يحتاج إلى النهى الحاسم ، ولكن الله ـ تعالى ـ يبادر نبيه والمؤمنين بما يدفع ذلك الوهم عن خواطرهم قبل حصوله : مسارعة إلى تأديب المسلمين ، وتنزيها لهم عن تلك النقائص ، وتكميلا لتربيتهم ، وترغيبا لهم فى الترفع عن تلك الخصال التى أودت بأصحابها .

مكتبتنا العربية

ولعل فى تكرار النهى ثانيا بقوله : « فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب » ، وتكرار التهديد ثانيا للسيئين بقوله : « ولهم عذاب أليم » أقول : لعل فى ذلك توكيداً لما نفحتنا به الآية الكريمة من آداب وتربية .

وكانت خصال أولئك المقبوحين بادية فى أمور منها : أن المنافقين كانوا يعتذرون عن الخروج إلى الغزو بأعذار مختلفة ، ثم يزعمون فى أنفسهم أنهم صادقون عند الرسول . ومنها : أن بعض اليهود كانوا يتوددون إلى المسلمين ، وكان النبى يسألهم عن أحكام فى كتبهم ، فيكتمون الحق لأنه يكون حجة عليهم ، ويجيبون بغيره ظانين أن أمرهم محجوب عن الرسول ، وأنهم مصدقون عنده فيما قالوا . ومنها : أن رؤساء اليهود كانوا يسألون علماءهم عن أوصاف الرسول العربى الذى تحدثت عنه التوراة ، وهى هى : أوصاف محمد بن عبد الله ، فكانوا يجيبون رؤساءهم بغير الحق ، وينفون عن محمد ما يعرفونه حقا فى كتبهم ـ فلما جاءهم ما عرفوا : كفروا به .

هذه نقائص كانت فاشية فى ذلك الزمن ، فصلحت كلها أن تكون سبب نزول الآية التى بين يدينا الآن والتى هى جانب من المنهج الإسلامى الخالد خلود الزمن . .

ونحن نرى فى مجتمعنا الحاضر صوراً لهذه المآسى الخلقية : فالكاذب ، والغشاش ، والدساس ، والخائن ، والشحيح ، والحقود ، والظالم ، والفاسق . . وكل ذى نقيصة فى خلقه أو دينه ، يدأب على نقيصته ، ويغضب إذا وصفته بوصفه الحق ، ويود أن يذكره الناس بخير من وصفه ، وهذا إمعان فى القبح ، وإسراف فى الخداع ، لأن معرفة النقيصة كمعرفة الخطر فى مكان معين ، فهى تمكن من إصلاحه ، أو ترشد إلى تجنبه ، وتحمى الناس من الوقوع فيه ، ولكن محاولة التستر بالمدح الزائف تخفى عن الناس موطن الخطر ، وهذا أقرب السبل إلى البلاء بالمسىء والوقوع فى شره .

لذلك كان النفاق فى الدين شراً من الكفر ، وإن كان الكفر أسوأ السوء .

وكان المنافق أسوأ عذابا من الكافر ، لأن المنافق تحت ستاره أشد نكاية من الكافر السافر . وما النفاق فى الأخلاق إلا لون من ألوان النفاق فى الدين ، ولك أن تقول : إن الأخلاق مرآة صادقة فى تبيان ما خفى من قوة الدين .

وهذه إرشادات القرآن ، فهل من يستجيب ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

السنة

شهران لا ينقصان *

أكرم الشهور عند الله — أحب الأيام إلى الله — أعظم ليلة وأجل يوم — بشارة إكمال الدين — عدة رمضان فى عهد النبوة — مبنى الشريعة على الأمور الظاهرة — حكمة بالغة فى سد الذرائع.

عن أبي بكرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : شهران لا ينقصان ، شهرا عيد : رمضان وذو الحجة . وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنا أمة أمية ، لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا . يعنى مرة تسعة وعشرين ، ومرة ثلاثين .

رواهما الشيخان ، واللفظ للبخارى .

* * *

أكرم الشهور عند الله شهران : شهر رمضان ، وشهر ذى الحجة . جعلهما الله أعظم مواسم الخير ، وأجل مغانم البر ، وفضلهما على سائر الشهور تفضيلا ... جعلهما كليهما ميقاتين لركنين من أركان الإسلام : الصوم ، وحج البيت الحرام ؛ واصطفى من كل منهما ثلثا فضله على سائر الليالى ، والأيام :

فأما ثلث رمضان فهو العشر الأخير منه ، ولياليه أفضل ليالى العام كله ، وحسبك أنها شرفت بليلة القدر ، وليلة القدر خير من ألف شهر ، وهى الليلة المباركة التى أنزل

(*) كتبنا فى هذا الحديث إجابة لرغبة أستاذنا الكبير الشيخ عبد الرحمن حسن ، وكيل الجامع الأزهر سابقا .

مكتبتنا العربية

فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . وقد ندب النبي ﷺ أمته أن يلتمسوها فى الوتر من هذه الليالى العشر ، وكان صلوات الله وسلامه عليه يجتهد فى رمضان ما لايجتهد فى غيره ، ويجتهد فى هذا العشر الأخير منه ما لا يجتهد فى غيره ، وكان يعتكف فى مسجده هذا الثلث الأخير من كل رمضان ، فلما كان العام الذى انتقل فيه إلى الرفيق الأعلى اعتكف ثلثيه : الثانى والثالث منه ...

وجعل الله لأمة محمد ﷺ ختام هذا الثلث الأخير عيداً كريما هو عيد الفطر ، فرض عليهم فيه أن يفطروا تحقيقاً لبشارة النبي ﷺ لمن صام رمضان إيمانا واحتسابا بأن له فرحتين يفرحهما : إذا أفطر فرح ، وإذا لقى ربه فرح بصومه . وما أجل الفرحة الأخرى وأعظمها ...

* * *

وأما ثلث ذى الحجة فهو العشر الأول منه ، وحسبك أن أيامه أحب الأيام إلى الله تعالى بشهادة الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه ، روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام - يعنى أيام العشر - قالوا : يا رسول الله ، ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد فى سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه وماله ، فلم يرجع من ذلك بشىء !! وكفى هذه الأيام شرفا أن جعلها الله تعالى خلاصة الأشهر الحرم ، فيها موعد الهجرة إلى بيته ، والجهاد فى مرضاته ، وتعظيم شعائره وحرماته ، وفيها يوم النحر أعظم الأيام على الإطلاق ، كما أن ليلة القدر أعظم الليالى على الإطلاق ، وفيها يوم عرفة وهو يلى يوم النحر فى الفضل ، وقد صح أن صيامه يكفر ذنوب سنتين ، وما من يوم يعتق الله فيه الرقاب أكثر منه فى يوم عرفة ، وفيه يباهى الله ملائكته بأهل الموقف وقد جاءوا شعثا غبرا خاشعين لله ، راجين فضله ورضاه .

* * *

وإذا كان الله جلت آلاؤه قد أنعم على الأمة المحمدية بإنزال القرآن فى ليلة القدر ، فلقد أنعم عليها إذ بشرها بإكمال دينه ، وإتمام نعمته ، فى يوم عرفة . روى البخارى وغيره أن يهودياً جاء إلى عمر رضى الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين ، آية تقرءونها فى كتابكم لو علينا

مكتبتنا العربية

معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا . قال : أى آية ؟ قال : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » ، فقال عمر : إنى لأعلم اليوم الذى نزلت فيه والمكان الذى نزلت فيه ، نزلت على رسول الله ﷺ بعرفة يوم جمعة ونحن واقفون معه ، فألحم اليهود عليهم لعنة الله ، بأن الله تعالى أنزلها فى عيدين لا فى عيد واحد [١] .

* * *

وإذا كان الله سبحانه قد تفضل على المؤمنين بعيد الفطر فى ختام العشر الأخير من شهر رمضان ، فقد تفضل عليهم بعيد النحر فى ختام العشر الأول من شهر ذى الحجة .

ولعظيم فضل هذه الأيام ذهب أكثر السلف والخلف إلى أنه تعالى أقسم بلياليها تشريفاً لها إذ قال : « والفجر ، وليال عشر » وقيل : إنها العشر الأخير من رمضان ، وقيل : هى العشر الأول من شهر الله المحرم .

وجملة القول أن الله اصطفى من شهور العام شهرى الصيام والحج ، واصطفى من الليالى أواخر الأول ، كما اصطفى من الأيام أوائل الآخر ، « وربك يخلق ما يشاء ويختار » [٢] .

* * *

هذا الفضل الثابت لهذين الشهرين الكريمين ، بشهادة المعصوم صلوات الله عليه ، لا يعتريه نقص ولا ضعف ، تمت عدة كل منهما معا ثلاثين يوما ، أو نقصت عدة كل منهما فكانت تسعة وعشرين يوما ، أو تمت عدة أحدهما دون عدة صاحبه .

وإذا فمن ضعف التأويل أن يقال : إنهما لا ينقصان فى عدتهما معا ، فلا يكونان كلاهما تسعة وعشرين ، وأضعف من هذا وأسخف أن يقال : إنهما أو إن أحدهما ثلاثون دائما ! فالحس يدفع هذا ويكذبه ! .

---

(١) كتبنا فى هذا الحديث بعنوان « عيد الدستور » فى ج ٨ م ٢٢ كما كتبنا فى « أحب الأيام إلى الله » فى ج ١٠ م ١٨ .

(٢) بسط هذا البحث ووفاه بما لم يسبق إليه صاحب « زاد المعاد » فى أوله ، فتزود منه .

مكتبتنا العربية

ولقد صام رسول الله ﷺ تسع رمضانات ، إذ كان فرض الصيام فى شعبان فى السنة الثانية من الهجرة ، وكان صيامه تسعة وعشرين أكثر من صيامه ثلاثين ، حتى قيل إن صيامه ثلاثين كان عامين ليس غير . ويأبى الله - كعادته مع نبيه دائما - إلا أن يصدقه بالعمل قبل القول ، ليزيد الذين آمنوا إيمانا ، ويزيد الذين اهتدوا هدى .

ومن الهدى النبوى العملى ماجاء فى قصة « التحريم » المشهورة التى انتهت بحلفه ﷺ ألا يدخل على أزواجه شهراً من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله عز وجل ، فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها ، فقالت له : يا رسول الله ، إنك كنت أقسمت ألا تدخل علينا شهرا ! وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدها عدا !! فقال : الشهر تسع وعشرون ، وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة .

يقرر بهذا الصنيع صلوات الله وسلامه عليه أن أحكام الشريعة الغراء لاتتأثر ولا تتغير بنقص العدة فى غير هذين الشهرين العظيمين ، فأولى ألا تتأثر ولا تتغير فيهما وهما شهرا عيدين كريمين ، لاجرم أن ناقص العدة منهما وكاملها سواء فى الحج والصيام وسائر الأحكام ، كما هما سواء فى الفضل والجزاء والرضوان . . « ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما » .

* * *

وثمّ حكمة جليلة أشار إليها صاحب « حجة الله البالغة » ولم أجد من تنبه لها سواه ... أشار رحمه الله إلى أن مبنى الشرائع على الأمور الظاهرة عند الأميين دون التعمق فى حساب النجوم وذلك قوله صلوات الله عليه : إنا أمة أمية لانكتب ولا نحسب ؛ وقوله صلوات الله عليه وسلامه : شهرا عيد لاينقصان ، قيل لاينقصان معا ، وقيل لايتفاوت أجر ثلاثين وتسعة وعشرين ، وهذا الأخير أقعد بقواعد الشرع ، كأنه سدّ أن يخطر ذلك فى قلب أحد . ومن المقاصد المهمة فى باب الصوم سد ذرائع التعمق ورد ما أحدثه المتعمقون ، فلقد كانت هذه الطاعة شائعة فى اليهود والنصارى ومتحنثى العرب [بل كانت ولا تزال شائعة فى الوثنيين والهنود إلى اليوم] فتعمقوا وابتدعوا وزادوا ونقصوا واتبعوا أهواءهم !! فحذر صلوات الله وسلامه عليه أمته أن يزيدوا أو يتكلفوا ، إذ بيّن أحسن بيان وأجمله بأن شهرى الصيام والحج - وكلاهما من العبادات العريقة فى القدم - كاملان فى الفضل والمثوبة وإن نقصت

مكتبتنا العربية

عدتهما ، فليسا بحاجة إلى تكملة أو زيادة ، فإن التكملة من عند العباد غلو فى العبادة وافتراء على المعبود ، وذلك منشأ الضلال وسبيل النكال ، والعياذ بالله تعالى .

وهذه الإشارة التى أشار إليها صاحب « حجة الله البالغة » وتصرفنا فيها بالبسط والإيضاح - أثر من آثار بصره بالسنة وفقهه فى الدين ، ومن يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين . . .

* * *

ذلك ، ولا نرى حاجة إلى البحث فى رؤية الهلال ، وتحريها بمختلف الطرق ، فقد كفانا مؤنة هذا البحث علماء أجلاء ، وفى طليعتهم أستاذنا الأكبر فى أحاديثه بالجزء الماضى من هذه المجلة ، وحسبنا أن نقول كما قال فى هذه الأحاديث : « وإذا كانت الشريعة لم تفرض على الناس أكثر من تحرى الهلال برؤيته بالعين المجردة . . . رحمة بهم وتخفيفاً عليهم ، فإن ذلك لا يمنع أن تستخدم تلك الوسائل التى تسهل رؤيته والتثبت منه مادامت موفورة ميسورة ، ومن الله العون والهداية . »

ط محمد الساكت

مفاخر العرب

قال خاتمة أدباء الأندلس لسان الدين بن الخطيب : العرب لم تفتخر قط بذهب يجمع ، ولا ذخر يرفع ، ولا قصر يبنى ، ولا غرس يجنى ، إنما فخرها عدو يُغلب ، وثناء يجلب ، وجزر تنحر ، وحديث يذكر ، وجود على الفاقة ، وسماحة بقدر الطاقة ، فلقد ذهب الذهب ، وفنى النشب ، وتمزقت الأثواب ، وهلكت الخيل العراب ، وكل الذى فوق التراب تراب . وبقيت المحاسن تروى وتنقل ، ، والأعراض تجلى وتصقل .

مكتبتنا العربية

١٠٧٣

الأزهر فى ميدان جديد

غبطة وتقدير

استقر فى أذهان كثير من الناس أن نشاط الأزهر العلمى ينحصر فى نطاق العلوم الدينية ، وليس له فى غيرها من فروع المعرفة مجال . ولعل عذرهم فى ذلك أن الأزهر هو المعهد الدينى الذى يقوم على علوم الشريعة الإسلامية ، ويؤمه المسلمون فى سائر أنحاء العالم لينهلوا منه ويتزودوا من ثقافته الإسلامية . وهذه الفكرة فى حاجة إلى التعديل ، فقد أدى الأزهر إلى جانب رسالته الدينية رسالات أدبية ولغوية وفلسفية يلمس العارفون أثرها ، ويقدرونها قدرها . وأرباب المعرفة وحملة الأقلام من رجال الأزهر قديما وحديثا ليسوا فى حاجة إلى التنبيه إليهم والتنويه بهم ، فهم معروفون بمآثرهم وآثارهم ، ومنهم رجال تعرفهم الجماعات العلمية بمصر وغيرها ، وتعرفهم الصحف وتقع على كواهلهم أعباؤها الأدبية ، ويعرفهم كبار الأدباء الذين تغمر الأسواق بمؤلفاتهم وتحقيقاتهم ، إلا أن من سوء الحظ أن تقضى الأحوال بإخفاء مواهبهم ، ويتشبع غيرهم بمجهوداتهم وأفكارهم .

ومع أن الأزهر شارك وما يزال يشارك فى النهضة الفكرية دراسة وتأليفا ، فإن مما يؤاخذ به أنه لم يحاول التنويه بمجهوداته والإعلان عن أعماله كما يحاول غيره ، فخال بعض الناس أنه تخلى عن واجبه فيها وفر من ميدانها ، بل كاد يتهمه بعضهم بالعقم والجمود .

نعم إن مشاركة الأزهر كانت ضيقة النطاق ، ولكنها منذ نحو ربع قرن ، وبعد أن نهض الأزهر نهضته الأخيرة بفضل المصلحين من شيوخه ، وبعد أن نقحت مناهجه واصطنع بعض وسائل التربية الحديثة ، وبعد أن ازداد اتصاله بالهيئات العلمية فى مصر والخارج بواسطة بعثاته العلمية إلى بعض الأقطار الأوربية ، ازداد نشاطه وبرزت مشاركته ، وأخذ رجال الفكر فى مصر وغيرها يحسون أثر هذه المشاركة ، كما أخذ نشاطه طريقه إلى فروع العلم المختلفة ، وكان لبعض رجاله أثر فى الترجمة والتأليف والنشر ، وتعرف دور النشر فى مصر كما تعرف الجماعات العلمية لرجال الأزهر كثيراً من الكتب المؤلفة والمترجمة

مكتبتنا العربية

فى الفلسفة والتاريخ واللغة والاجتماع ، وتعرف الجامعات فى مصر وغيرها من رجاله من شغلوا بعض المناصب العلمية فيها فنهضوا بأعبائها فى ثقة وجدارة .

ولقد كان فيما قرره المجمع اللغوى من إجازة العالم الأزهرى الأستاذ سيد صقر على تحقيقه العلمى لكتابى « مشكل القرآن » و « إعجاز القرآن » ، والعالم الأزهرى الأستاذ محمود الشرقاوى على كتابه « دراسة لتاريخ الجبرتى » دليل على اشتداد النشاط الأزهرى ، وامتداده إلى الألوان الثقافية المنوعة . وإن الأزهر ليغتبط أشد الاغتباط بهذا التقدير العلمى الجليل ، لا لأنه موجه إلى الأستاذين الفائزين ، بل لأنه موجه إلى الأزهر ، فإذا هنأنا الأستاذين من صميم قلوبنا بهذا الفوز العلمى ، فإن الأزهر فى مجموعه أولى منهما بتهانينا واغتباطنا ، لأن هذا النجاح مظهر من مظاهر حيويته ونهوضه ، قد يخرس ألسنة الغامزين له الجاحدين لفضله ، على أنا نلفت النظر إلى أن اقتحام الأستاذين لهذا الميدان - وهو ميدان النشاط الفكرى والتحقيق العلمى - ليس جديداً على الأزهر كما يتبادر إلى بعض الأذهان ، فرجال الأزهر فرسانه المعلمون من قديم ، وأكثر الكتب العلمية التى لها مكانها من التحقيق العلمى هى من عملهم الخالص أو مما لهم مشاركة فيه . والكتب التى لا تحمل طابع التحقيق الأزهرى لا تحظى من نفوس الدارسين بالثقة العلمية الكاملة لا فى مصر ولا فى غيرها .

والجديد فى عمل المجمع اللغوى هو الإعلان عن جهود الأزهر فى هذا الميدان .

وقد كنت أحب أن أقدم الأستاذين الفائزين بجوائز المجمع اللغوى إلى قراء مجلة الأزهر ، لولا أن الصداقة سبيل الظنة فى الحديث ، فمعذرة إليهما على أنهما قد يكونان فى غنى عن التقديم ، فقد عرف القراء الأستاذ الشرقاوى صحفيا مرموقا فى جريدة البلاغ نحو خمسة عشر عاما ، كما عرفه قراء الأهرام بما تنشره له من مقالات فى مختلف الشئون . وقد عرف العلماء الأستاذ سيد صقر بتحقيقه العلمى فى المجلات العلمية فى مصر وغيرها ، وبنشاطه الدائب فى الميدان الفكرى ، وبمشاركته الجماعات العلمية فى النشر والترجمة والتأليف .

وبعد — فللأزهر وللأستاذين خالص تهانينا وموفور تقديرنا ؟

أبو الوفا المراغى

مكتبتنا العربية

١٠٧٥

مشاكلنا العلمية

كلمة حكيمة لسيدنا على بن أبي طالب — كرم الله وجهه — يجب أن تكون دائماً على ألسنتنا وفى قلوبنا : « علموا أبناءكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم » ، وإذا كانت حاجة الأبناء على عهد سيدنا على إلى التعليم الذى يناسب زمانهم ، فإن حاجة الأبناء - الآن وفى كل جيل - إلى ما يناسب زمانهم من أنواع المعارف .

من هذه النقطة الواضحة البسيطة يجب أن نبتدئ ، ويجب أن نفكر ، ويجب أن نعمل ، نبتدئ عملنا العلمى ، ونفكر فى مستقبل أبنائنا ، ونعمل على أن نساير الزمن الذى نعيش فيه ، وإذا آمنا بأن هذا هو الصواب ، قل بيننا الخلاف ، وأصبحنا على بينة من أمرنا .

ولا شك أننا نشعر بركود علمى فى محيطنا الأزهرى ، ونحس بفراغ هائل ، ذلك أن الدراسة عندنا لا تزال كما كانت عليه فى حلقات البصرة والكوفة ، وفى مساجد بغداد ودمشق والقاهرة منذ ألف سنة ، ولا يزال أكثر علمائنا يدورون فى هذا المحيط ، يحفظون ويلقنون طلابهم ما حفظوا ، ولا يشعرون أو لا يريدون أن يشعروا أن الدنيا حواليهم تدور ، وأن المطابع تلد كل يوم جديدا فى الفن والعلم والأدب ، وهذا لا يعنى أن روح العصر لا تجد لها مكانا بيننا ، فإن فينا بحمد الله خيرا ، ولكن يعنى أن الطابع العام فى الدراسة هو التبعية الكاملة للدراسة والتأليف فى تلك العصور البعيدة .

والمشكلة الخالدة أننا نجد قوما مسرفين فى تمجيد الجديد ، وتنقص كل قديم ؛ ونجد بجانبهم قوما مغالين فى تقديس القديم ، وتنقص كل جديد ، وقديما قال الجاحظ : إذا رأيت الرجل يقول : ما ترك الأول للآخر شيئا فاعلم أنه لا يريد أن يفلح ، وكان يرى أن لذلك (مضرة شديدة ، وثمرة مرة) ذلك أن هذه الكلمة لو استقرت فى أذهان العلماء لما كان لها صدى إلا اختلال العلم ، واضطراب المعارف ، ولذلك كان الشيخ عبد القادر الجرجانى يرى أن هذه الكلمة وأشباهها سبب البلاء ، وقد جهد جهده فى كتابته يحذر من التواكل العلمى ، ويدعو إلى عدم الوقوف عندما قال السابقون ، وعنده أن العلم كمعدن التبر ،

مكتبتنا العربية

لا يمنع استخراج السابق منه الشيء الكثير ، أن يطلب فيه اللاحق ، وأن يأخذ منه قدرا ، مهما كان قليلا .

والعلم لا يتقدم بالإسراف فى الرأى الذى يرتئيه العالم ، فهو لا ينتفع بتنقص القدماء ، وبخسهم حقهم ، كما لا ينتفع بالتنكر لكل جديد ، وما أظن واحداً من هذين عمل العالم المخلص ، فلقد رأيت السابقين - حين يريدون أن يضيفوا إلى آثار أسلافهم شيئا ، بل حين يريدون أن ينبهوا إلى أخطائهم - يقدمون بين يدى ذلك الثناء عليهم ، وينفون أن يكونوا قصدوا إلى شيء من الطعن عليهم ، ومن ذلك قول صاحب القاموس المحيط فى مقدمة ديوانه : (ونبهت فيه على أشياء ركب فيها الجوهرى خلاف الصواب ، غير طاعن فيه ، ولا قاصد بذلك إزراء عليه) وكذلك قال السكاكى حين وضع للبلاغة قواعد ، ورتب لها شواهد ، فإنه أثنى على جهود السابقين الذين (فعلوا ما وفت به القدرة) - كما يقول - ولا أتردد أن أقول : إن هؤلاء الذين لا يفتأون يغضون من شأن الأسلاف لا يريدون أن يفلحوا بل لا يريدون أن يحدثوا ، كما أقول : إن أولئك الذين يدافعون بالحق وبالباطل عن كل شيء قديم وصل إلينا ، ويحجرون على العقول ، لا يريدون أن يفلحوا - كما يقول الجاحظ - بل لا يريدون أن يشعروا الناس أنهم أحياء .

ومن المؤسف - حقا - أن نجد بيننا من كل فريق أقواما ، فترى من لا يزال يعتقد أنه ليس بعد ما قال الأقدمون قول ، ولا يمتدحون جديداً ، بل لا يخلون جديداً من عيب وذم ، وإذا حدثهم عن بحث جديد ، أو عن فكرة جديدة . قالوا لك : جنبونا ترهاتكم ، ومن تورع منهم يقول : ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان ، وفتى ولا كمالك . وهذه العقيدة عندهم حرمتهم وحرمت العلم من خير كثير ، فإنها صرفتهم عن النظر فى شيء مما يقوله الآخرون ، وكان واجب العلم والرأى يقتضيهم أن ينظروا فيما يقوله الناس فربما وجدوا فيه ما يفيد .

كما أننا نجد من فتن بالجديد كل الفتنة ، فهو يعيب على القدماء بعلم وبغير علم ، وتراه فى سبيل الانتصار لرأيه ، أو للرأى الذى يشايعه ، يرتكب ما يجافى أبسط قواعد العلم .

فنحن - إذاً - فى حاجة إلى من يسلك الطريق الوسط ، وان يكون هؤلاء إلا من بين

مكتبتنا العربية

الذين تعمقوا فى الدراسات القديمة ، ونظروا فى الدراسات الحديثة ، واطلعوا عليها فى منابعها الأولى ، مع الحيدة التامة والبعد عن التشيع . وأرى أن خير من يصلح لهـذه المهمة هم الأزهريون ، ولكن على شريطة أن يجيدوا لغة أجنبية أو أكثر ، وأن يدرسوا بجد وإخلاص ، ولذلك أعتبر ما اعتزمه الأزهر من إدخال اللغات الأجنبية بين دراساته من أقوى الخطوات فى نهضة الدراسات الإسلامية والعربية ، ولكن لا ينبغى أن نكتفى بأن نعلم الطالب مبادىء أو قريباً منها ، بل لابد أن نضع فى بعض المراحل منهجا يهيء لعدد غير قليل من الطلاب إجادة لغة أو أكثر ، كما لا بد أن نظل نحثهم - ما دمنا مؤمنين بفائدة هـذا الدرس - على الاستزادة والتعمق .

وشيء آخر على أكبر جانب من الأهمية ، هو التوسع فى إيفاد البعوث الدراسية إلى الممالك الأخرى ، فما أظن أحداً ممن يعنيهم الأمر يجهل مدى ما يعود على العلم من خير نتيجة لهذا العلم ، وما أظن أحداً كذلك يجهل مقدار ما أداه رفاعـة الطهطاوى وزملاؤه الأبرار من فضل وخير لهذه النهضة الحديثة .

* * *

وأعود إلى دائرتنا الضيقة لنرى ما فيها مما يجب أن نعالجه ، وأول ذلك هذا العزوف الملحوظ عن مباحث الآخرين ، سواء فى قراءتنا الخاصة ، أو فى مناهجنا الدراسية ، واكتفائنا بما بين أيدينا من كتب السابقين ، وقديماً قال العالم الزاهد أيوب السختيانى : « إنك لا تبصر خطأ معلمك حتى تجالس غيره ، جالس الناس ، وطالما عادى بعضنا بعض الآراء ، حتى إذا اطلع عليها فى مصادرها ، وعرف ما اعتمد عليه أصحابها من حجج وبراهين ، آمن بها ، ودعا إليها . وقديماً أسرف السكاكى فى مخاصمة القول بأن إعجاز القرآن يدرك بالذوق ، ثم عاد فى نهاية المطاف ليقول : « طالما سخرنا الذيل فى إنكاره ، ثم رددنا الذيل ما ان ننكره » .

ومن العجب أن كثيراً من المسائل تناولها القدامى أو المحدثون بالنقد ، ومع ذلك لا نزال نلقنها أبناءنا ، لأنها أثبتت فى الكتب التقليدية التى فرض الزمن علينا دراستها ، بل العكوف على دراستها ، ولا نرى محاولة جديدة للانتفاع بهذه النقود ، وليس حقاً أن كل ما توصل إليه المحدثون بعيد عن الصواب ، فلماذا لا ننظر فيما اهتدوا إليه ، وندخله فى دراساتنا .

مكتبتنا العربية

ونحن نجهل الكثير مما يدور حولنا ، حتى أخص الأمور التي تتعلق بنا ، وإذا كنت مغالياً في هذا ، فأني أسأل : كم منا يعرف شيئاً يذكر عن البهائية ، والقاديانية ، وكم منا يعرف ما هو المذهب الوجودي ؟ بل كم منا يعرف شيئاً يذكر عن الأدب في العراق ، وفي سوريا ، وفي لبنان . بل أقرب فأقول : كم من دارسي النحو العربي من يعرف شيئاً عن المجامع اللغوية ، وعن أعمالها في الدراسات اللغوية . ألسنا نحاسب الطلاب على ما في القاموس ، ألسنا حين نصحح دفاتر الإنشاء أو البحوث العلمية نجعل أكبر عمدتنا على ما قال ابن منظور أو الفيروز ابادي ؟ مع أن الدراسات اللغوية تقدمت تقدماً محسوساً ، وخطت خطوات واسعة : وأجازت المجامع اللغوية في مصر والعراق والشام كثيراً من الألفاظ والتراكيب التي لم تتعرض لها القواميس . ألم يكن من الخير ، بل من الواجب أن ندخل في صلب دراستنا المنهجية عمل هذه المجامع ؟

* * *

لقد قال الزركشي عن العلوم : « أما الحديث والفقه فقد نضج واحترق ، وأما علم النحو والأصول فقد نضج وما احترق ، وأما علم التفسير والبلاغة فما نضج ولا احترق » وهذا القول لا يعجب الكثيرين ممن يرون آلاف المؤلفات في النحو والأصول والبلاغة والتفسير ، ويرون أن كل هذه العلوم نضجت واحترقت وأكلت أيضاً ، ولكن الذين يؤمنون بالعقل البشري ، ويرون أمامهم ما أنتج من مخترعات ، لا يستطيعون أن يوافقوا الزركشي ، إلا على ما قال في التفسير والبلاغة ، ويرون أن كل العلوم في حاجة متجددة إلى الحطب الجزل ، والنفخ القوي ، حتى تسير إلى النضج : أما الاحتراق فدون ذلك آماد .

لقد كانت خطوة موفقة ـ ولا شك ـ ما ابتدأ فيها الأزهر من دراسة المعاملات الجديدة ، وبحثها على أضواء جديدة من حاجات المجتمع ، مع الاستنارة فيها بالأصول المقدسة في الشريعة الإسلامية ، ولكن لا نرى إلا أن هذه خطوة يجب أن تتبعها خطوات ، فإن كثيراً من مسائل العلوم في حاجة إلى هذه الروح لتفي بحاجات المجتمع .

ولنضرب مثلا ببعض العلوم ، وبعض المسائل :

في العربية علم اسمه علم البديع ، تبجح عبد الله بن المعتز بأنه استخرج فنونه من كلام العرب ، وشمخ بأنفه قائلا : وما جمع قبلي فنون البديع أحد ، وظل العلماء بعده يستخرجون

مكتبتنا العربية

هذه الفنون ، ونبغ فى ذلك - بصفة خاصة - العلماء المصريون ، حين أعوزهم أن يقولوا فى العلم شيئاً ذا بال ، وكان السابقون يرون أن البديع علم عرضى ، يفيد الكلام تحسينا زائداً ، إذا خلا من التكلف ، وكان أكثر أصحاب الذوق منهم يعيبون الإكثار من هذه الفنون ، فخطوا من أبى تمام ، ورفعوا من البحترى . فماذا صنعنا نحن ؟ رأينا من يجاهدون ليرفعوا من شأن البديع ، وليجعلوا التحسين فيه ذاتيا ، وآمنا نحن بذلك ، ففرضنا دراسة البديع على طلابنا ، مع أن النظرة العجلى ترينا أن مراعاة المحسنات البديعية قد أضرت ضرراً بليغاً بالآثار الأدبية ، فقد انصرف عبادها عن تجديد المعانى وابتكارها ، وتوضيح العبارة وانسجامها ، والاقتصاد الذى هو لب البلاغة ، إلى أمور شكلية ، ولا أشك أنك حين تجد كثرة البديع ، تفقد حرارة العاطفة ، وصدق التعبير ، وسمو المعنى .

* * *

وهذا النحو ، صرفنا النظر فى علله ، وشواذه ، وفلسفته ، وتخريج شواهده ، عن العمل على إقامة الألسنة . وتهذيب القواعد ، وتيسير المسائل ، حتى أصبحت دراسة النحو أبعد الدراسات عن الغاية المرجوة منها . وعجيب ألا نستفيد شيئاً مما كتبه الباحثون فى هذا الحقل ، كأننا نعتقد أن كل ماقالوا زور وبهتان .

* * *

ومسألة واحدة فى علم البيان أسوقها كشاهد على تعبدنا بما قال القدماء ، دون تفكير جدى فى مدى الصواب أو الخطأ . أو حتى دون انتفاع بما أشار بعضهم إليه من نظر صحيح .

وصل الينا تعريف الكناية على هذه الصورة « لفظ أطلق ، وأريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة المعنى الحقيقى » وطال الخلاف ، هل المراد لازم المعنى ، أو ملزومه ، فى حين أنك لو رحت تطبق هذا التعريف على أنواع الكناية لوجدت عجبا ، أليسوا يقولون « مع جواز إرادة المعنى الحقيقى » فهل يصدق هذا الكلام ؟ قالوا : إن بعض أنواع الكناية عن صفة ، ربما لا يمكن فيه إرادة المعنى الحقيقى ؛ حتى قال ابن يعقوب المغربى ، وهذا أكثر من أن يحصى . ثم لجأوا إلى الفلسفة ليصححوا التعريف .

ولكن هل يصدق ذلك على الكناية عن نسبة ؟ وهل يصدق عن الكناية عن ذات ؟ إنهم يمثلون — مثلا — للكناية عن نسبة ، بقولهم : المجد بين ثوبيه ، والكرم بين بردية ، والسماحة والندى فى قبة ضربت على ابن الحشرج ، وما إلى ذلك ، فهل يمكن فى هذه الأمثلة

مكتبتنا العربية

وما أشبهها إرادة المعنى الحقيقى ، أو حتى جواز إرادته ؟ إنه من الواضح أن المعنى الحقيقى لا يمكن أن يراد ، وقد ذكر ابن السبكى فى كتابه عروس الأفراح أن الجرجانى يجعل هذا النوع من قبيل المجاز الإسنادى ، قال : وأنشد عليه قول يزيد بن الحكم يمدح يزيد بن المهلب وهو فى سجن الحجاج :

أصبح فى قيدك السماحة والمجـ ـد وفضل الصلاح والحسب

وجعل منه ، إلا أنه فى النفى : يبيت بمنجاة من اللوم بيتها .

قلت : وليت الشيخ عبد القاهر سلك هذا المسلك الذى توهمه ابن السبكى ، إذن لكان إلى الصواب أقرب ، ولكن عبد القاهر - كما هو واضح من كلامه فى دلائل الإعجاز [1] - يجعل ذلك من قبيل الكناية .

أما أمثلة الكناية عن ذات فظاهر أنها من قبيل ذكر الصفة ، وحذف الموصوف ، وقد صرح بذلك الزمخشرى عند تفسير قوله تعالى « وحملناه على ذات ألواح ودسر » حيث يقول : « أراد السفينة ، وهى من الصفات التى تقوم مقام الموصوفات ، فتنوب منابها ، وتؤدى مؤداها ، بحيث لا يفصل بينها وبينها فاصل ، ونحوه « ولكن قميصى مسرودة من حديد » . أراد ولكن قميصى درع ، وكذلك « ولو فى عيون النازيات بأكرع » أراد ولو فى عيون الجراد ، ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة أو بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح ، وهذا من فصيح الكلام وبديعه » ومثل ذلك فى المفصل .

قلت : ومثله مجامع الأضغان ، وبحيث يكون الرعب والأمن ، وما أشبه ذلك من أمثلتهم . ألست ترى بعد ذلك ، أن هذه الكلمة (مع جواز إرادة المعنى الحقيقى) لا موضع لها فى التعريف ؟ ولكننا من المغرمين بالمحافظة على الآثار !

وفى بعض كتب البلاغة أن من الكنايات : « إياكم وخضراء الدمن » كناية عن المرأة الحسناء فى منبت السوء ، وأن العرب يكنون عن المرأة بالنعجة ، وبالشاة ، وبالقارورة ،

---

[١] ٢٣٨ ط المنار الثانية .

مكتبتنا العربية

وكل هذا واضح أنه من قبيل الاستعارة ، والقرينة فيه - عادة - تكون مانعة من إرادة المعنى الحقيقى ، أليس خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنجشة حين وجده يحدو الإبل وعليها الهوادج فيها النساء ، بقوله : يا أنجشة رفقا بالقوارير ، قرينة على أنه - عليه الصلاة والسلام - لم يرد إلا النساء ، وقل مثل ذلك فى بقية الأمثلة .

وإذن فليست كل كناية بل ليس كثير من الكنايات مما يصدق عليه تعريفهم هذا ، بل لا يصدق التعريف إلا على نوع واحد من أنواع الكناية الثلاثة ، وفى بعض الأحايين ، فهل فكرنا منذ مئات السنين فى شىء من هذا ؟ الجواب - مع الأسف - لا .

ولو رحت أعدد الأمثلة لضاق المجال ، ولكن خلاصة ما أريد أن أرمى إليه ، أن نعيد النظر فى موروثاتنا ، مع إيماننا بأن فيها خيرا كثيرا ، وأن نلتفت إلى ما جد فى عصرنا من بحوث ولو كان أصحابها من المشهورين عندنا بالتعصب على الأسلاف ، وأن نعلم أبناءنا العلم الذى يجعلهم قادرين على الخوض فى هذا المعترك الصاخب ؛ فإنهم كما يقول سيدنا على كرم الله وجهه (خلقوا لزمان غير زماننا) .

والويل للمتخلفين !

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

على العمارى

فى أوربا الاسلامية

أول مدرسة للطب أنشئت فى أوربا هى التى أنشأها أمير المؤمنين الناصر الأموى فى قرطبة ، وقد امتلأت اسبانيا بالمدارس لجميع فروع العلم على عهد العرب ، بل يقال إن جامعة مونبليه الطبية فى جنوب فرنسا كان الفضل فى تأسيسها للعرب .

وكان عبد الرحمن بن بدر - وزير الناصر - يكتب المراسيم والأوامر الرسمية فى داره ، ثم تطبع منها نسخ كثيرة بطريقة خاصة أتقنوها فى زمانهم ، وترسل إلى العمال مطبوعة ، وكان ذلك قبل غوتنبرغ الألمانى الذى يعزى إليه اختراع صناعة الطباعة .

مكتبتنا العربية

على رسلكم ياقوم

إن من الظواهر العجيبة - التى يأسف لها كل غيور على دينه وعلى وطنه وعلى المثل الأخلاقية الفاضلة ، والتى هى فى حاجة ملحة إلى شىء من الدرس والبحث من المتخصصين فى الدراسات النفسية والاجتماعية والأخلاقية - أن يصاب المجتمع المصرى والإسلامى بفئة من الناس لا ترعى للحق ذماما ، ولا تقيم لتكاليف الدين وزنا ، ولا تراعى الأخلاق الكريمة ومقومات الأمة عهدا ، ولا تراقب الله فى الإبقاء على ما بين أفراد الأمة وطوائفها من رباط الحب والمودة والتعاطف والتراحم .

هذه الفئة من الناس إن بدا لها رأى فطير ، أو خطرت لها فكرة من الفكر الخاطئة ، أو استهواها مذهب من المذاهب الهدامة الفاسدة ، سارعت إلى إعلانه بشتى الوسائل والأساليب ، وركبت فى سبيل ذلك كل صعب وذلول ، ولا عليها بعد هذا إن هدم حقاً أو أقام باطلا ، أو صادم عقيدة ثابتة ، أو كان فيه تجن على دين أو خلق فاضل ، أو كان فيه قضاء على مقومات الأمة وما ارتضته لنفسها من آداب أصيلة وما تواضعت عليه من عرف سليم .

ولو أن هذه الفئة من الناس تصدر فيما تكتب أو تذيع أو تنشر عن عقيدة وحق وخير لأمكن إرجاعها إلى جادة الحق والإنصاف ، ولكنها اتخذت إلهها هواها ، وامتلأت جنوبها بالغرور ، وعقولها بالشبهات ، فعز إرجاعها عن ضلالها البعيد إلى طريق الهدى والحق والاعتدال .

وأعجب من ذلك لو أن غيورا على دينه ووطنه ومقومات أمته أهاب بهم أن يعدلوا عن هذه الطرق الملتوية إلى طريق الرشاد والاستقامة ، وأن لا يلغوا من هذا المشرب الآسن الذى اعتادوا الولوغ فيه ، رموه بكل مقالة حمقاء ، وألصقوا به كل تهمة هو براء منها ، وحاولوا أن يسلخوه من دينه ووطنيته بل وإنسانيته .

هذه الفئة من الناس التى تشرع أقلامها لكل رأى غير نضيج وكل فكرة فائلة

مكتبتنا العربية

وكل حماقة طائشة ، وتلبس لكل حالة لبوسها ، وتكون كأبي براقش كل يوم لونه يتغير ، هي أضر على الأمة من أعدائها ، ولن ينال العدو من الأمة ما ينال هؤلاء منها ، لأنهم يدسون السم الزعاف في الدسم ، ويحتالون ما وسعتهم الحيلة على أن يلبسوا الباطل ثوب الحق والغواية ثوب الرشاد ، ويلبسون للناس مسوح المصلحين الناصحين ، فيغتر السذج بظواهرهم ويفتتنون بآرائهم .

إن على ولاة الأمور أن يضربوا على أيدي هذه الفئة العابثة بدين الأمة وأخلاقها ومقومات شخصيتها ، والتي تحاول جاهدة أن تفسد ما صلح من فطرة هذه الأمة ، وأن تلحد بها عن طريق الرحمن إلى طريق الشيطان . وإن على الشعب أن يكون على حذر من هذه الفئة التي ابتغت الشهرة من طريقها الدون ، طريق « خالف تعرف » ، وأن يميتها في مهدها ، وأن يفوت عليها أغراضها ، ولا يلق بالا لما تنفث من سموم وآراء ضارة ، فالشعوب كانت ولا تزال هي الموجهة للمجتمعات إلى ما ينبغي أن تكون عليه من صلاح واستقامة .

ومن عجيب أمر هذه الفئة أنها تأبى في بعض ما تذهب إليه إلا أن تؤيد باطلها بآيات من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبشيء من أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه : فتحرف في آيات الله وفي أحاديث رسوله ما شاء لها الهوى أن تحرف ، وتفهم الكلام العربي الفصيح بعقول وأذواق أعجمية ، فإذا ما بين لهم العلماء بالكتاب والسنة الخبيرون بأساليبها العارفون بالشريعة وقواعدها ومقاصدها المحمل الصحيح مدعما بالحجج والبراهين ، تصاموا إلا عن باطلهم ، ولووا رءوسهم إعراضاً وتكبراً ، وادعوا أنهم أعلم بالكتاب والسنة من رجالها الذين أفنوا أعمارهم في تفهمهما ، ورموا الناصحين لهم بالكهنوتية والحجر على العقول والجمود والرجعية ، إلى آخر ما تنضح به نفوسهم من ألفاظ دأبوا على ترديدها .

لا لا ، ياقوم ، ماهكذا تورد ياسعد الإبل ، ولا هكذا يكون الحجاج وتناول النصوص الشرعية . وإذا كان لكل شخص أن يتكلم فيما لا يعلم ولا يحسن القول فيه ، ففيم كان التخصص في العلوم والمعارف ، ولكل علم وفن أهله والعارفون به ، « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » .

مكتبتنا العربية

لا أريد أن أسوق الأمثلة فذلك أمر يطول ، ولكنى سأذكر مثالا واحداً يتبين منه مدى فهم هؤلاء الكتاب للنصوص الشرعية .

* * *

كتبت كاتبة معروفة تدعى بغير بينة أن تعدد الزوجات فى الإسلام ممنوع ، وسمعت كاتبا معروفا فى ندوة إذاعية يقطع بأن التعدد محرم ، وحجتهما فى هذا أن الله سبحانه وتعالى قال فى صدر سورة النساء ، فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا ، ثم قال بعد ذلك فى السورة نفسها : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، وخرجا من الآيتين بأن التعدد ممنوع ، لأن العدل غير ممكن ولا مستطاع . ومثل هذا الفهم الذى هو أقرب إلى العبث والهزل مما ننزه عنه كتاب الله ، ولبت شعرى كيف يتفق مافهموه من الآيتين هو وقول الله تعالى : « فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » . وما كان عليه السادة من خيار هذه الأمة من الصحابة ومن جاء بعدهم من تجويز التعدد والجمع - بالفعل - بين أكثر من واحدة ؟ فهل السلف الصالح كلهم كانوا مخطئين ، وهؤلاء هم المحقون ؟!!!

والحق أن العدل فى الآية الأولى هو العدل فى النفقة والسكنى والبيتوتة . وهو الذى ينبغى تحققه لمن رام التعدد ، وهو داخل فى نطاق الاستطاعة لامحالة . وأما العدل فى الآية الثانية فالمراد به العدل فى المحبة والميل القلبى ، ومثل ذلك غير مستطاع لأنه أمر غير اختيارى ، فلذا لم يكلفنا الله به . وهذا الذى ذكرناه هو الذى تدل عليه السنة القولية والعملية التى هى مبينة للقرآن وشارحة له ، وقد ثبت فيما رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول : « اللهم هذا قسمى فيما أملك ، فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك » يعنى الميل القلبى ، فكأن الله سبحانه يوصينا فى الآية الثانية أن لانسير وراء الحب القلبى والميل النفسى فنجور على إحدى النساء فيما يجب لها من نفقة وسكنى وبيتوتة ، فهذا هو التفسير الصحيح للآيتين .

* * *

وثالثة الأثافى أن تمتد هذه اللوثة إلى بعض أبناء الأزهر المعمور الذى سلخ من عمر الزمان مئات السنين وهو منارة الإسلام ، ومثابة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ،

مكتبتنا العربية

والقائم على حفاظ الشريعة الغراء واللغة العربية لغة القرآن ، فنجدهم لايقومون بالأمانة التى استحفظوا عليها ، ويؤثرون رضاء الخلق على رضاء الحق ، فانزلق ذلك البعض إلى مزالق لايؤمن شرها ولا تحمد عقباها ، وقد حداهم إلى هذا الرغبة فى تحصيل الشهرة الكاذبة ، وأن تضفى عليهم الألقاب الجوفاء الفارغة ، كأن يقال عنهم إنهم مجددون وعصريون وغير جامدين ، إلى غير ذلك من الألقاب التى لاتستهوى إلا صغار النفوس ورقاق الدين . ولو أنهم كانوا ذوى بصيرة لوقفوا عند معالم الحق ، ولأدركوا أن طلب الجاه من هذا السبيل ماهو إلا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، وأن هذه الألقاب التى يضفيها عليهم قوم لاحظ لهم من دين أو خلق أو علم أصيل هى إلى الذم أقرب منها إلى التعظيم .

* * *

بحسب هؤلاء عبرة وذكرى أن يعلموا أن إماما من أئمة السلف الصالح وهو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كان يبغض الشهرة ما استطاع ، ويحب أن يكون فى غمار الناس ، وكثيراً ما كان يتأفف مما ناله من الشهرة ويقول : « طوبى لمن أخمل الله عز وجل ذكره » ، وكان يرى أن الجاه العريض والسعادة الحقة إنما هما فى التقى والوقوف عند حدود الله والحرص على رضائه ولو سخط عليه الناس كلهم ، وأن لا تأخذه فى الحق لومة لائم . فماذا كان عاقبة هذا الإمام الجليل الذى كان يفر من الشهرة وهى تلاحقه ؟ لقد رفع الله سبحانه وتعالى شأنه ، وأعلى فى الأولين والآخرين ذكره ، وحظى بمنزلة لم تنلها الملوك ، ولا تزال مواقفه الخالدة فى محنته شذى يتضوع على كل لسان ، وذكرى مجيدة تتجدد على توالى العصور والأزمان .

* * *

يا أبناء الأزهر المعمور ، أنتم بمثابة النجوم التى يهتدى بها السارى فى ظلمات الحيرة والجهالة ، وإذا أعتم النجم فبماذا يهتدى السارى ؟ وأنتم الذين يستشفى الناس بآرائكم ، وإذا انحرفت الآراء واعتلت فبماذا يستشفى الناس ؟ وأنتم ملح المسلمين فى جميع أقطار الأرض ، وإذا فسد الملح فماذا يصلحه ؟ وقديماً قيل صنفان إن فسدا فسد الناس العلماء والأمراء !!! وأنتم صمام الأمان الذى يقى الأمة الإسلامية غوائل الأفكار الخاطئة والمذاهب الهدامة والآراء المبتسرة : وإذا تخليتم عن مهمتكم سرى التحلل والفساد إلى هذه الأمة ونخر فى عظامها سوس الإباحية والاستهتار ؛ فكونوا كما كان أسلافكم الأماجد ، وقفوا سيل هذه التيارات الجارفة بصلابة عقيدتكم ولا يضيركم أن يقال عنكم إنكم جامدون

مكتبتنا العربية

ما دمتم ترسمون الهداية والحق ، فلأن كان الوقوف عند حدود الشريعة والانتصار للحق والاعتزاز بالفضائل جموداً فأحبب به من جمود ، وإن كان التحلل من الأديان ونبذ الحق ظهرياً والانحدار فى مهاوى الرذيلة تجديداً وتقدماً فما أبغضه من تجديد وتقدم !

* * *

يا أبناء الأزهر : إن الكلمة من أحدكم قد يضل بها الألوف من الناس ، فلا تصدروا أحكامكم إلا عن حق وهدى وروية وتثبت ، ولئن كان فى الأمة فئة قليلة تنازع الأمر أهله ، وتتطاول عليكم بألسنة حداد ، وتحاول ما استطاعت أن تغض من شأنكم ولا تسمع لقولكم ، فإن جمهور الأمة لا يزال يعلق عليكم الآمال الكبار ، ولا يزال يحلكم من نفسه محل القدوة ، ولا يزال المسلمون فى كل صقع وقطر ينظرون إليكم على أنكم ورثة الأنبياء ونجوم الهداية ومصابيح الرشاد ، فراقبوا الله فيما تقولون وما تفعلون ، وأنتم خير من يعلم قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » رواه مسلم .

هذه كلمة قصدت بها التحذير والتذكير ، وصدق العلى العظيم : « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين »

اللهم إنى قد بلغت . اللهم فاشهد !

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

عواقب الانهماك فى طلب الدنيا

جاء فى متن الحديث المشروح تحت هذا العنوان بالجزء الماضى وفى شرحه « لم يبال الله فى أى أودية هلك » وصحتها أوديته .

مكتبتنا العربية

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه »

(قرآن كريم)

الى أين ؟؟؟

شاطىء النجاة

(العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين)

جوستاف لوبون

توفر للدين الإسلامى من الإمكانيات الروحية والمادية ما استطاع بها أن يصهر القلوب المتنافرة ، والمصالح المتضاربة ، والقبائل المتناحرة ، ويكون من شتاتها جميعا قوة واحدة ، أوصلت نور الإسلام إلى جميع الأقطار فى زمن قصير ، يقيمه المؤرخ المنصف برهانا على صدق الداعى إلى هذا الدين . والإسلام دين يربى معتنقيه التربية القويمة ، ويصوغهم على صفات الكمال الإنسانى ، ويهيئهم لمواجهة مشاكل الحياة ، ويمكنهم من معالجة الأمور بما يناسبها .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

استقر الأمر للدولة الإسلامية بعد أن انتشر الإسلام فى الشرق والغرب ، ودخل أهل البلاد المفتوحة فى هذا الدين القويم ، فرجع المسلمون إلى عقولهم يستوحونها الحكمة والمعرفة ، وينطلقون بها فى ميادين البحث والعلم ، ويحلقون بها فى سماء النشاط الفكرى المادى والروحى ، فبحثوا فى العلوم الدينية والمعارف الإنسانية ، وفى الطبيعة وما وراء الطبيعة ، فى جميع ما أنتجته العقول البشرية السابقة من كلدانيين وهنود ويونانيين وفرس وغيرهم .

وإذا بدأت حركة البحث الفكرى دينية على عهد النبى ﷺ وعلى عهد خلفائه الراشدين فذلك أمر طبيعى اقتضته فطرة الوجود وسنة التدرج ، فالدين قد ملك على القوم قلوبهم ومشاعرهم ، فهو سبب وحدتهم ، ومنبع نهضتهم ، وسر وجودهم .

وقد أقبل كبار الصحابة الذين وزعوا على الأمصار ومن تتلمذ عليهم من التابعين الذين دخلوا فى الإسلام من الشعوب المفتوحة على القرآن والحديث بالتفسير والشرح والتمحيص ، يدونون المعانى ، ويستنبطون أحكام ما يعرض لهم من معاملات اقتصادية ، ونظم سياسية ،

مكتبتنا العربية

ومبادىء اجتماعية ، فى هذه الدولة المترامية الأطراف ، التى صاغت حضارتها فى إبداع على أكمل نظام .

وقد وسع الإسلام بأصوله الواضحة ، وقواعده السليمة ، وتعاليمه السمحة القويمة ، هذه الحركة الفكرية المتحررة من أغلال التقليد والتقييد ، ذلك لان الإسلام يتسع لبحث الفكر ولا يضيق ذرعا بمبتكرات العلم ومبدعاته . كيف لا وهو الدين الذى أخذ بيد الفكر من مواطن الرعونة والغفلة والإهمال إلى أماكن الروية والعمل والاستبصار .

وإن دينا من أعظم مزاياه أن النص المقطوع به لا يتعارض قط مع العقل فى اتجاهه السليم .

وإن دينا لا يكتفى من معتنقيه بتصديق المقلد ، وإن دينا يرى أن الحكمة فى متناول الإنسان ، وأنها من نصيب البشر « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » .

إن دينا هذا شأنه لخليق أن يستمتع العقل فى ظلاله بالحرية الكاملة فى البحث والتفكير .

لذلك شق الإسلام طريقه إلى القلوب والعقول بالحجة والبرهان دون التجاء إلى السطوة والصولجان . فلا تجده يكلف الإنسان عقيدة من العقائد دون أن يتبعها الدليل الذى يأخذ عليه طريق المكابرة والعناد . فلا يسعه إلا التصديق والإذعان ، فكتاب الإسلام حين يلقى إليك بعقيدة التوحيد فى قوله : « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم [١] » ، يقرنها بالدليل مباشرة إذ يقول « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون [٢] » .

ولو تتبعنا القرآن دستور الإسلام ، لوجدناه يعنى باللائمة المرة على من يهمل عقله ، ويعيش دون العناية بهذه الجوهرة الغالية ، وتلك الهبة الربانية السامية ، فقد أبرزه فى أبشع صورة إذ يقول « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون [٣] » ، « ومثل الذين

(١، ٢) البقرة ١٦٣ ، ١٦٤ (٣) الأنفال ٢٢

مكتبتنا العربية

كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون [١] ، كما أوضح بالكثير من آياته شدة عنايته بالعقل وعظيم اهتمامه بشأنه . استمع معى إلى بعضها وتأمل ، والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون [٢] ، الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور [٣] ، أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور [٤] ، لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون [٥] ، قل سيروا فى الأرض ثم انظروا [٦] ، أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء [٧] ، فلينظر الإنسان إلى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولأنعامكم [٨] ، فلينظر الإنسان مم خلق [٩] ، ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، ثم إنكم بعد ذلك لميتون [١٠] ، وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون [١١] .

إن هذه العناية بالعقل لأن العقل قد بلغ أشده فى ظلال الإسلام ، واستوى على عرش الفكر ، وتمكن من زمام البحث ، فلم يعد طفلا يكتفى بالتلقينات ويقنع بالمسلمات . لذا جاء الإسلام مؤسسا دعائمه على العقل ، متمشيا فى تشريعاته مع الطور الفكرى الذى وصلت إليه الإنسانية فى عمرها المديد ، فقد بلغت الإنسانية منتهى النضج الفكرى ، ووافاها الإسلام عند الكمال . فهو لذلك دين الإنسانية الكاملة .

ومهما ارتقت وسائل البحث العلمى ، ونظم الحياة المادية ، ومهما ابتدع العلم الحديث من عجائب وأحدث من مبتكرات ، فإن الإسلام لا يمكن أن يجافيها بل هو يشجع الباحثين

---

[١] البقرة ١٧١ . [٢] النحل ٧٨ . [٣] الملك ٣ . [٤] الحج ٤٦ . [٥] الأعراف ١٧٩ . [٦] الأنعام ١١ . [٧] الأعراف ١٨٥ . [٨] عبس ٢٤ ـ ٣٢ . [٩] الطارق ٥ . [١٠] المؤمنون ١٢ — ١٤ . [١١] العنكبوت ٤٣ .

مكتبتنا العربية

على التفنن فى الابتكار والإتقان لما فيه خير الإنسانية ورفاهيتها ـ « علم الإنسان ما لم يعلم » « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » « ويخلق ما لا تعلمون » .

أقول لن يقف الإسلام مناهضا لحركة البحث ، أو عقبة كأداء فى سبيل الفكر ، كما وقفت الكنيسة فى ماضيها أمام كثير من الحقائق والمخترعات .

فقد سجل التاريخ صوراً قاتمة من الكفاح المرير بين رجال الكنيسة وجمهرة المكتشفين والمخترعين وأتباع كل ، مما أوجد العقدة النفسية بين الدين والعلم ، وأرث نار العداوة بينهما . ولا زلنا نصطلى نارها ، ونحاول تهدئتها حتى الآن . وهاك بعض هذه الصور المفجعة للعبرة والمقارنة :

لم تكتف الكنيسة بالمقاومة القولية ، والمصاولة بالحجة والبرهان ، لأنها تعلم أن قوتها ستنهار فى هذا الميدان . لذا لجأت إلى طريق القسوة والعنف ، وتفننت فى أنواع التعذيب والتنكيل فى النفس والمال والأهل والاتباع ، وأوقعت المحكمة المقدسة بين الناس فى أوربا من الرعب ما خيل لكل من يلمع فى رأسه شعاع من نور الفكر أو يصيص من خواطر البحث ، أن رسول الشؤم يترصده ، وأن السلاسل والأغلال أقرب إلى عنقه ويديه من ورود الفكرة العلمية إليه .

حكمت محاكم التفتيش منذ نشأتها سنة ١٤٨١ - ١٥٠٨ م على ٣٤٠ أربعين وثلثمائة ألف نسمة باسم مقدسات المسيحية : منهم مائة ألف حرقوا بالنار أحياء ـ يقول أحد مؤرخى أوربا مصورا الحالة النفسية الهائلة فى ذلك العهد ، يكاد يكون من المحال أن يكون الشخص مسيحيا ويموت على فراشه ، وحاربت الكنيسة كروية الأرض ، وكشف أمريكا ، والحقن تحت الجلد ، وتخدير النساء عند الولادة ، وغير ذلك . والمؤلم أن تستند الكنيسة فى هذه المقاومة إلى نصوص من الكتب المقدسة ـ كأن الأديان إنما هى لعنة الإله على الإنسان ، وليست هداية الله للبشر يهدى بها من استنار بضوئها إلى تحقيق السعادة لنفسه ولبنى جنسه فى العاجلة والآجلة .

نكتفى بهذا الإجمال تاركين العقل الإنسانى فى غيابات سجون أوربا يرسف فى السلاسل والأغلال لنرى العقل الإنسانى فى ربوع الشرق وفى رحاب الإسلام ، وتحت ظلاله الوارفة ، وشمسه المشرقة .

مكتبتنا العربية

ماذا وجد العقل فى الدين المحمدى ؟

وجد العقل فى دستور الإسلام منبها له من سباته العميق ، وحاثا إياه على العمل والتبصر ، ومهيئاً له كل وسائل البحث والمعرفة . ولا يسعنى للبرهنة على هذه الحقيقة - بعد ما قدمت من آيات دستور الإسلام ، وما نعلمه من سنة رسول الإسلام وقيادته للحركة العلمية ، وحضه أتباعه على التزود من العلوم والمعارف - إلا أن أضع أمام ناظريك الحالة العلمية فى ربوع الإسلام وتحت راية القرآن ، فهى الميزان الصادق ، والفيصل القاطع فى هذا المقام ، لأن الحالة العلمية هى النتيجة الطبيعية لحرية البحث الفكرى .

ازدهرت العلوم المدنية ، وأخذت حظها من النضج والبحث الفكرى والتجريبى تحت راية الإسلام ، لا فرق فى معاملة الباحثين والمفكرين بين مسلم وغيره ، وأول من توجه إلى هذا الميدان أبو جعفر المنصور وأوصلها هارون الرشيد إلى أوربا المظلمة ، فلما كان المأمون لم يبق شىء من الكتب والأبحاث العلمية باللغات الأخرى : إغريقية أو فارسية ، سريانية أو هندية ، إلا وترجم إلى اللغة العربية ، وبهذا وضع العرب المعارف البشرية منذ نشأتها بلغتهم تحت أبصارهم وبصائرهم .

وأقبل العلماء على هذه العلوم بالشرح والتحليل ، والاستنباط والتأويل ، واجتازوا دور الفهم والتقليد سراعا إلى دور الابتكار والتجديد . فأنشأوا المدارس والمراصد ، والبيمارستانات ، وألفوا الكتب والموسوعات وأودعوها جهودهم الجبارة فى خدمة المدنية والعلم ، وقدر الباحثون دور علماء الإسلام فى سلم التطور الفكرى بأنه حلقة الاتصال بين القديم والحديث . وكذب أن العرب حميلة على اليونان ، وإنما نظر المسلمون فى علوم اليونان فأكملوا الناقص منها ، وشذبوه من الأدران العالقة به ، وأخرجوا منه ومن غيره علما جديداً أنضجوه بعقليتهم الجبارة وفطرتهم العربية الإسلامية السليمة . فكتاب القانون الذى ألفه الرئيس ابن سينا كان شريعة الطب فى العالم طوال ستة قرون ، واستمر عمدة التدريس فى جامعات فرنسا وإيطاليا حتى منتصف القرن التاسع عشر . وهم أول من عين موضع إخراج الحصاة كآخر اكتشاف وصل إليه الطب الحديث . وما وصلوا إليه من معرفة فى الفلك والجبر والحساب ناطق بفضلهم ، فقد رصدوا الأفلاك وابتكروا آلات

مكتبة الكتب العربية

الرصد . وقالوا باستدارة الأرض ودورانها حول محورها . ولا تزال المصطلحات العربية فى هذه العلوم حتى الآن ، وبحوثهم فى الحيوان والنبات والكيمياء أصول هذه العلوم . وأما النواحى الفكرية الفلسفية (الميتافيزيقية) فإن علماء الإسلام فيها هم الأعلام الذين لايشق لهم غبار . وجدير بالذكر أن أبحاث ابن رشد أثارت ثائرة العالم المسيحى (الاوربى) آنذاك حيث كان غارقا فى بحر الظلمات .

وما كان هذا الإنتاج المادى والروحى إلا لأن الإسلام أطلق لمعتنقيه العنان فى هذه الأبحاث ، وشجعهم على الإجادة بما كافأهم من مكافآت مادية وأدبية .

وقد سجل التاريخ صوراً رائعة تنطق بمؤازرة الإسلام للعلم والنهوض به ، ورفع مكانة العلماء والعناية بشأنهم وتقدير جهودهم ، وما نبأنا التاريخ مرة واحدة أن الإسلام حارب حقيقة أو قاوم اختراعا جديداً .

كيف والإسلام دين العلم ، ورسول الإسلام يقول عنه القرآن « وقل رب زدنى علما » ودستور الإسلام يسمو بمكانة العلماء فى قوله « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . وما رضى الإسلام بتشجيع معتنقيه فحسب وإنما وسع العلماء والباحثين من غير المسلمين كذلك . يقول المستر درابر « إن المسلمين الأولين فى زمن الخلفاء لم يقتصروا فى معاملة أهل العلم من النصارى واليهود على مجرد الاحترام بل فوضوا إليهم كثيراً من الأعمال الجسام ، ورقوهم إلى أعلى المناصب فى الدولة » .

فالإسلام دين لايعرف إلا الحق ، فهو يقدر العالم لعلمه دون اعتبار لنسب أو نشب أو دين أو جنس أو لغة . فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها - يقول أحد خلفاء المسلمين : « العلماء هم صفوة الله من خلقه ، ونخبته من عباده ، لأنهم صرفوا عنايتهم إلى نيل الفضائل الإنسانية . هم ضياء العالم ، ولولاهم لسقط العالم فى الجهل والبربرية » هذا تقديره الأدبى للعلماء أما المكافآت المادية فقد كان يعطى أحدهم وزن مايترجم ذهبا .

وفى ظلال هذه الرعاية « أثمر العقل ثمراته التى حفلت بها الأرض فى ظلال القرآن وتحت راية السنة المطهرة ، وخلف العلماء هذا التراث الخالد الذى نعتز به وتعتز به البشرية قاطبة » .

ويقول درابر « إن العرب فتحوا من مملكة العلم والفلسفة ما أتوا على حدوده أسرع مما أتوا على حدود مملكة الرومانيين » .

مكتبتنا العربية

من كل هذا نقرر فى وضوح أن الإسلام كدين ودولة معاً لم يعاد العلم ولم يحجر على الفكر . وإنما أطلق للعقل والبحث العنان ، وشجع العلماء والباحثين على الابتكار والإتقان ، فما جمع المجامع العلمية ، وما استعدى السلطة الزمنية على إخماد الحركة العلمية . وإنما بذلت الأموال ، وأغدقت الأعطيات على العلماء والباحثين .

فهل كان الدين آنذاك فى زوايا النسيان والإهمال ، أم كانت له الدولة والسلطان ، إن عصراً أنجب أئمة المسلمين المجتهدين والحكماء والعباقرة والمفكرين ، وكان من خلفائه من يغزو عاماً ويحج عاماً لايمكن إلا أن يكون الحق فيه صاحب القهر والسلطان .

فإذا وسع الدين الإسلامى فى تلك العصور هذه الحركة العلمية والفلسفية المتحررة فى المادة والروح فى المحسوسات والمعقولات ، وكان من نتاجه هذا التراث الضخم من المعارف الإنسانية ، فهل لا يستطيع الدين — وقد صاحب تلك العصور الخوالى واعتبر بتلك الحوادث على مر الدهور — أن يعيد سيرته الأولى فيتلاءم مع توأمه العلم ، ويتعاونا معاً على رفع مستوى البشرية ، وتحقيق أسباب السعادة المادية والروحية فى العاجلة والآجلة لأبنائها ، والرقى بهم إلى مواطن الطهر والكمال . هذا هو الظن بالإسلام فإنه شرعه الرحمن ، وما أنزله إلا رحمة للعالمين ، وتشريعه هو ذلك التشريع الرحب الفسيح الذى يتسع للناس جميعا مهما اختلفت لغاتهم ، وتباينت أصقاعهم ، وتفاوتت عاداتهم وتقاليدهم ، لأنه لا يكلف الإنسان إلا بما يطيق ، « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » ، وقد تضمن دستور الإسلام الأصول العامة والقواعد الشاملة التى لا تختلف باختلاف الزمان والمكان والأجناس ، وترك التفصيل والتطبيق لما يلائم الصالح العام لكل شعب فى عصر من الأعصار .

فالإسلام شريعة البشرية عامة ، نظم حياتها ووضع لها التشريعات القويمة وضعا بديعا متناسقاً ، فلا عداء ولا صراع ولا تفريق ولا تضارب بين المادة والروح ، ولا بين العلم والدين ، ولا عبادة للمال ولا إنكار لقيمته ، ولا تخريب للدنيا كما لا جحود للآخرة ، بل توافق وتعاون وانسجام . « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين[١] » .

إن العلماء والمفكرين الإسلاميين قد ضربوا للعالم أصدق المثل العملية على هذا التعاون

---

[١] القصص ٧٧ .

مكتبتنا العربية

بين العلم والدين ، ودونت أسفارهم مثلا رائعة للتضامن بين المادة والروح . وهاك مثلا طريفا ضربوه لإيضاح هذه الصلة :

« أعمى يحمل مقعدا ، يأويهما صاحب بستان ، ويبيح لهما أن يأكلا من ثماره ومشتهياته دون العبث بمحتوياته ، تحت مراقبة وإرشاد حارس البستان ، فإن أطاعا وامتثلا دامت لهما حياة الرغد فى البستان ، وإلا استحقا الطرد والحرمان . هذا الأعمى هو المادة ، والمقعد هو النفس (الروح) ، وحارس البستان هو العقل ، والبستان هو الدنيا ، وثماره طيبات الدنيا ومشتهياتها ، وصاحب البستان هو الخالق العظيم سبحانه وتعالى . وهم فى هذا يشيرون إلى أن المادة تستطيع أن تتعاون مع الروح فتنعم بثمرات الدنيا ومشتهياتها إذا هى استرشدت (العقل) وأطاعت الخالق (الدين) وبهذا تتحقق لها السعادة فى دنياها ، وتوفى جزاءها الكريم فى أخراها . أما إن أهملت المادة الروح وعصت الخالق ، وخرجت على أوامره (الدين) فقد تخبطت فى تصرفاتها ، وأغضبت خالقها ، وحق عليها الشقاء ، وسارت كالأعمى خرج على المقعد وغافل حارس البستان ، فصار يعيث فى البستان فسادا ، وهو لا يدرى أنفعا جلب لنفسه أم ضرا أصاب ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » .

وهكذا يتبين أمامنا ما ضربه أسلافنا من المثل العالية فى التضامن بين المادة والروح ، والتناصر بين العلم والدين . فهل نستطيع أن نضرب مثلا جديدة فى هذا السبيل ، دون تطاحن أو مروق ، فتنمحى تلكم الصرخات المدوية ، وتتلاشى هذه الصور القاتمة التى تهدد البشرية بالفناء والدمار .

إن السير فى طريق المادة والخضوع لسلطانها مودٍ بالعالم إلى الشقاء والفناء ، وإن الأمم التى أسست حضارتها على أسباب المادة تحتل المظاهر المادية عندها جميع نواحى النشاط الإنسانى ، أما الأخلاق فمنزوية فى مكان مظلم من الحياة سحيق ، إن الفرد من رعاياها يعبد البنك ستة أيام فى الأسبوع وينطلق اليوم الباقى من حياته للانغماس فى الملذات والشهوات ، « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون » « يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون[1] » .

---

[١] الروم ٧

مكتبتنا العربية

لهذا ننادى العقلاء وبناة الأمة والناهضين بالشعوب الإسلامية مبصرين ، أن انخلاع المسلمين عن تعاليم دينهم ، ومجافاتهم القيم الرفيعة التى أتى بها الإسلام ، وهجر الفضائل التى ورثتها البشرية ، ونبذ الآداب الخلقية السامية التى قررتها الفطر الإنسانية السليمة على مر الأجيال ، لا ينبغى أن تقام عليه مدنية المسلمين وحضارتهم فى القرن العشرين ، بل يجب أن نحرص على مقدسات الإسلام .

نبنى كما كانت أوائلنا تبنى ونصنع مثل ما صنعوا

وكذب أن الدين مخدر للشعوب ومعوق للأمم عن النهوض ، فالإسلام قد أيقظ شعبا وأنهض أمة ، وأنشأ دولة وحضارة .

وأخيرا أقول : إن صوت الإسلام يدوى فى الآفاق ينادى أتباعه جميعا :

أيها الماديون جوسوا خلال المادة ، وتلصصوا بين خلاياها ، واخترقوا جدرانها ، وأميطوا اللثام عن خفاياها ، واهتكوا ستورها ، وابحثوا ما تهيأت لكم وسائل البحث ، وامتطوا الهواء وفتتوا الذرة وحطموها ، وأخرجوا للبشرية ما تستطيعون مما أبدع الخالق فى ملكوت السموات والأرض ، واستنيروا بهدى الروح ، واستضيئوا بضوء السماء ، وإياكم والتوجه بمخترعاتكم إلى إيذاء البشرية وضررها ، بل إلى ما ينفع الإنسانية ويهجها « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره [1] » .

أيها الروحانيون ، يا سدنة الأخلاق ، ويا دعاة الفضيلة ، ويا عشاق المثل العليا ، ابذلوا الجهد ، وأنيروا السبيل ، وأحيوا القول بالعمل ، كونوا مثلا حية عملية لما تقولون ، فقول بلا عمل شجرة بلا ثمر ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » . خذوا من الحياة المادية بنصيبكم ، واقتدوا بنبيكم عليه الصلاة والسلام ، فهذا دستور الإسلام « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون [2] » .

إنكم إن أجبتم جميعا الدعاء ، ولبيتم النداء ، تحقق لكم وعد السماء ، نصر من الله وحسن الجزاء ، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

« وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » ؟

محمد أبو المطارم
الواعظ العام

---

[1] الزلزلة ٧، ٨ [2] التوبة ١٠٥

مكتبتنا العربية

١٠٩٦

فى ميـــــدان النقد

يغلب على النقد الضحل المبتسر فى العصر الأخير صبغتان : الأولى هى الإفراط فى التقريظ ، والأخرى هى الإفراط فى التجريح ، وبين هاتين الصبغتين الجائرتين يضيع النقد البصير القاصد الحكيم ... هذا شخص يتناول كتاباً لصديق فيكيل له الثناء كيلا ، وذاك آخر يتناول كتاباً لخصم أو عدو ، فيحرص على اتهامه بالحق والباطل ، وتتعامى عيناه عن الحسنات وتبرعان فى استنباط السيئات ، وقديما قال شاعرنا :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدى المساويا

والدارس لتراثنا الأدبى لايرى كثيراً ذلك النقد الموضوعى المنصف ، الذى يتناول الأثر العلمى أو الأدبى بالدرس والتحليل ، فيقول ماله وما عليه ، من غير أن يجعل للذاتية أو العاطفة أو الهوى أو الصداقة أو العداوة مدخلا فى منهجه أو عرضه أو حكمه ؛ بينما يرى عشرات أو مئات من المقالات التى أملاها الود الضالع أو الغيظ الجامح ، فإذا هى « تعميمات فضفاضة » أو « كليات واسعة » فى باب المجاملة أو باب التجريح .

ومن واجب العلماء والأدباء والناقدين أن يتواصوا بالأسلوب العلمى الموضوعى المجرد حين يصفون الآثار العلمية أو يحكمون عليها ، حتى يصير الأثر النقدى أثراً أدبياً أو فنياً ، تلذ قراءته وتغزر فائدته ، بما فيه من أفكار وآراء ونظرات ؛ وأن يتزاجروا عن النقد المجامل أو المتحامل ، فإنه إن دل على شىء فإنما يدل على نضوب الذهن وفراغ الفؤاد ، اللهم إلا من هوى مستبد أو حقد جموح ، وحسبنا ما ابتلينا به فى باب النقد من تلك الأحكام العامة العائمة التى استعلن أمرها فى مثل يتيمة الدهر وسلافة العصر وخلاصة الأثر والذخيرة والخريدة وقلائد العقيان ، وذلك فيما يختص بأوصاف الشعراء والأدباء .

أقول هذا بمناسبة ما قرأته للناقد العالم الأستاذ على العمارى فى مجلة « الأزهر » الزهراء من نقد لكتابى « القصاص فى الإسلام » ، فقد حاول فى هذا النقد - كما يبدو - أن يكون موضوعيا ، وقد أشعرنا أنه يريد أن يقول ما للكتاب وما عليه ؛ وإذا كان العمل ما لم يوافق الرغبة على طول الطريق ، فحسب المرء رغبته ومحاولته . و« إنما الأعمال بالنيات »

مكتبتنا العربية

وهو من غير شك محمود على نيته الطيبة ، ومشكور على ما ساق فى الكتاب وصاحبه من تقدير وتكريم .

لكن الحقيقة بنت البحث ، وهو قد أثار مسائل يحتاج فيها إلى المراجعة ، لاحبا فى المراجعة ، ولا حرصا على الغلبة ، ولكنه الوفاء للحق ، وهو قبل رضا الزميل .

عاب الناقد علىّ وعلى فقيد العربية والإسلام المرحوم الرافعى - وأكرم بها من مشاركة ! - تعليلنا لاختيار كلمة « القصاص » فى الدلالة على الانتصاف الواجب من القاتل ، ورأى أن الفوارق اللغوية هى التى تؤدى إلى اختيار كلمة القصاص ؛ ولولا علمى باستقامة الناقد لحسبت ذلك منه مغالطة ، إذ قد شغلت من الكتاب ست صفحات [١] فى تبيان تلك المعانى اللغوية الكثيرة لكلمات « الثأر والقتل والقصاص » ، وإيضاح الفروق بينها ، ثم عقبت قائلا :

« ومن هذا نرى أن المعنى الأصلى لكلمة (القصاص) هو المساواة والتعادل ، ولذلك كانت هذه الكلمة أحسن الكلمات الثلاث للاستعمال فى موضوعنا هذا الذى نتعرض له ؛ فلا يحسن أن نقول (الثأر) ، لأن الثأر يذكر بالدم والعداوة والاحقاد والإسراف . ولا يحسن أن نقول (القتل) لأنه أيضاً يذكر بإزهاق الروح والطرد واللعن ، بل نقول (القصاص) لأنه مساواة وعدل وإنصاف » [٢] .

والمشاهد أن كثيرين يذكرون كلمة « الثأر » ويريدون بها القصاص ، وأن كثيرين يذكرون كلمة « القتل » ويريدون بها أيضاً القصاص ، فكان لابد للمؤلف من أن يبين الخطأ اللغوى والاستعمال فى هذا المجال ، لينتهى بما يجب لغوياً وبيانياً وهو إيثار كلمة « القصاص » .

وقد تعرضت لتفسير قوله تعالى : « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا ، فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا » ، وذكرت فيها ثلاثة تفسيرات ، ولكن الناقد لم يرقه أحدها ، وهو الذى صورته بالعبارة التالية :

---

(١) كتاب القصاص فى الاسلام ص ١٣ — ١٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩ .

مكتبتنا العربية

« إن المقتول ظلما لا يذهب دمه هدراً ، بل أعطينا ولى دمه النصرة عن طريق السلطان الشرعى للاقتصاص من القاتل ، فواجب على القاتل الأول أن لا يقدم على القتل ، وأن لا يسرف فى هذا العدوان وهو الاعتداء على النفس المحرمة ، حتى لا يناله ذلك العقاب الأليم ؛ وهناك قراءة تؤيد ذلك ، وهى : (فلا تسرف) أى : أيها القاتل لا تسرف فى القتل ، ولا تقدم عليه بهذه الجرأة المشاهدة — فيكون ذلك نهيا عن القتل ابتداء — لأننا جعلنا لورثة من تقتله أيها القاتل المعتدى سلطانا رادعا بالغا هو القصاص ، ولأنه كان منصورا بمعونة السلطان ومساعدة جماعة المسلمين ».

ويعلق الناقد على هذا التفسير بقوله : « وذلك لا يتفق مع نص فصيح ، بله القرآن الكريم » ونحن لا ندرى لماذا لا يتفق هذا مع النص الفصيح ؟ . وما المانع منه والكلام معه واضح جميل المعنى ، وقراءة (فلا تسرف) قراءة صحيحة ، قبلها كرام المفسرين واحتجوا بها ، وذكروا وجه المعنى فى الآية عليها مع ما ذكروا من وجوه ، ولا يبعد أن يكون هناك من اختار هذا الوجه أو اقتصر عليه ؟ ! ... وماذا نفعل ولا يمكن تفسير الآية على هذه القراءة إلا بهذا ؟ .

ثم إن المعنى على هذا الوجه بديع ، والتعبير معه لا خلل فيه ولا اضطراب ، بل فيه تنويع وتكثير ... وكأن الله تعالى يقول — وهو أعلم بمراده — : من قتل مظلوما فقد شرعنا للمطالب بدمه نصرة وقوة ، فاحذر أيها القاتل ، ولا تسرف فى القتل ، وتذكر أن من تريد قتله ليس ضعيفا ، بل هو منصور بقوة الإمام وقوة المسلمين من ورائه ..

ويتساءل الناقد عقب ذلك قائلا : « على أنى لا أدرى من أين جاءت النصرة بجماعة المسلمين » . وقد يقال له إن عدم درايته لا يمنع دراية سواه : على أن « النصرة بالجماعة » حقيقة أولية شائعة الإدراك : ألم يقل القرآن الكريم : « وتعاونوا على البر والتقوى » ؟ . ألم يقل الرسول العظيم : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » ؟ . ألم يأت الأثر الحكيم : « المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه » ؟ . ألم يذع المبدأ الاجتماعى القويم : « الفرد للمجموع والمجموع بالفرد » ؟ ! ... وما الأمة يا صاحبى ؟ . ومن أين يستمد الحاكم سلطته ، والقانون قوته ، والمنفذ قدرته ؟ .

مكتبتنا العربية

الأمة مجموعة من الأفراد ، فيهم ملكات ومواهب وطاقات وقدر ، ولهم حقوق وعليهم واجبات ، وهؤلاء الأفراد يصطلحون على مبادئ وقواعد ، ويكلون تنفيذها إلى راع أو وال يعطونه من هيبتهم وسلطتهم وطاقتهم ، فهو بهم يصول ويجول ، وباختيارهم وتفويضهم يحكم ويفصل : وهل يقيم الوالى الحدود والقصاص ، ويفصل فى الخصومات ، ويأخذ الحقوق لأهليها ، ويقف الباغين عن بغيهم إلا بنصرة هذه الجماعة (وهى الأمة) بسواعدها وأموالها وجيشها وشرطتها وقضائها ومنفذى الأحكام فيها ؟! ... وماذا يبقى للفرد — ولو كان واليا — من سلطان أو اقتدار إذا خذلته الجماعة ؟! .

ويأخذ الناقد على الكتاب أنه يكثر من النقول أحيانا فى الموضوع الواحد ، وهو يرى أن المسألة إذا كانت تحتاج إلى تدعيم وتأكيد فيمكن الاقتصار فيها على أو فى النصوص : وقد تكون هذه خطة جديدة للناقد يعمل بها أو يدعو إليها ، ولكل امرئ فى مناهجه قسط من الحرية والاختيار ، ولكن المتعارف عند الباحثين والعلماء أن المسائل التى تكون موضع شك أو خلاف أو اضطراب تحتاج إلى تتابع النصوص — تتابعا معقولا بطبيعة الحال — لأن تعدد الشواهد والأدلة مما يساعد على إزالة الشبهات ، ويؤكد الحكم المراد ، وفى بحوث السابقين واللاحقين أمثلة أكثر من أن يراد لها إحصاء .

ومع هذا كنت أود لو حدد الناقد تلك المواطن التى تعددت فيها النصوص - ولو بذكر الصفحات - حتى يمكننا متابعته فى نقده ، وحتى نستفيد من رأيه إذا استقام ، ووجدنا له مجال التلقى والتطبيق .

ويقول « فضيلة » الناقد : « وعندى أن من عيوب الكتاب جنوح المؤلف إلى الوعظ والإرشاد ، حتى دعاه ذلك إلى أن يثبت خطبة ألقاها فى مسجد من المساجد فى يوم جمعة » .

أى عيب فى ذلك يا (صاحب الفضيلة) ؟ ... وأى تعارض أو تناقض بين البحث العلمى وبين كلمة تذكير فى صميم موضوع البحث العلمى تساق فى موطنها ؟ إن بحثى فى كتابى عن القصاص بدليل اسمه (القصاص فى الإسلام) والخطبة التى تشير إليها موضوعها القصاص ، وهدفها تعليم الناس أن يقتصروا على الاقتصاص العادل فى دنياهم ، وأن لا يطغوا أو يتجاوزوا الحدود ، أو يأخذوا بريئا بذنب مجرم : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » ؛ وفى هذه الخطبة نصوص من القرآن ومن السنة ومن التاريخ الإسلامى ومن أقوال الأئمة الأعلام تدور كلها حول القصاص وهو موضوع الكتاب ؛ وفيها نظرات وخطرات اجتماعية

مكتبتنا العربية

تدخل فى صميم (القصاص فى الإسلام) فأى تعارض إذن بين هذه الخطبة وبين البحث العلمى الذى كنت فيه ؟

معذرة فقد نسيت ! ... جاء التعارض من (الوعظ والإرشاد) الذى لا يرضيك : ومعذرة إلى أهل الوعظ والإرشاد ! وماذا فى الوعظ والإرشاد من غضاضة يا صاحبى ؟ وهل المعرفة فى حقيقتها إلا وعظ وإرشاد ؟ وهل للبحث العلمى من ثمرة أكبر من ثمرة الإرشاد إلى الحق ، والتنبيه على الباطل ، والتحذير من الضلال ؛ سواء أكان هذا الضلال فى باب العبادة أم فى باب الصناعة أم فى باب التجارة أم فى أى باب من أبواب الحياة ؟

وأخيرا يعرض الناقد لما ذكرته فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ... » من أنه نزل فى مقتل سيد الشهداء حمزة ، ويعلق الناقد على ذلك بقوله : « وكنت أحب أن يلقى الأستاذ نظرة فاحصة على هذا الكلام ، فإن الذى يبدو لأول وهلة أنه غير مقبول » . ولو أننى اقتصرت على ذكر هذا السبب من أسباب النزول لكان للناقد الحق فى قوله ، ولكننى قلت ما نصه : (وروى فى سبب نزول الآيتين أكثر من رواية ، وتجد ذلك مبسوطا فى الجزء الثانى من التفاسير المطولة كالطبرى والآلوسى والقرطبى) . ثم ذكرت أربع روايات فى سبب النزول ، ولو ذكرتها بلا تعليق أو ترجيح لكان للناقد بعض الحق فى اعتراضه ؛ ولكنى بعد أن ذكرت مختلف الروايات قلت :

ومهما كان خصوص السبب الذى نزلت الآيتان عند قيامه ، ومهما قيل عنه من تأييد أو تفنيد ، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول العلماء ؛ ولذلك يذهب البعض إلى تعليق سبب النزول بالمقصد العام لشريعة الإسلام ، وهو تغيير الأحكام الباطلة الجائرة التى كانت موجودة قبل الإسلام [1] » .

ومهما يكن من مدى الاختلاف فى الرأى بينى وبين الناقد الفاضل فإنه مشكور على تقديره وعنايته ، ولعلى لا أثقل حين أكرر الدعوة إلى نقد موضوعى متجرد لتجلية الحقائق وتصحيح القيم ، وظنى أن أمثال الناقد ممن لهم فكرهم وبيانهم قادرون على المضى فى هذه السبيل بعد أن استبانت حاجتنا إلى نقد التمحيص والتبصير ، وبعد أن طالت شقوتنا بالأعيب المجاملة وسهام التجريح : « وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ، ولو شاء لهداكم أجمعين » .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

---

(١) كتاب القصاص فى الاسلام ، ص ١٥٩ .

مكتبتنا العربية

حول مقال

نظرات فى كتاب

المصلحة فى التشريع الاسلامى

لأخى الفاضل الاستاذ أحمد الشرباصى مكانة فى نفسى تجعلنى أتابع كل ما يكتبه فى تقدير له ، ومن ثم رحبت أيما ترحيب بمقاله الذى نشرته له مجلة « الأزهر » الغراء فى عدد رمضان الماضى . وسرنى منه أنه اختار نقد كتاب لى موضوعا لهذا المقال ، ثم لم يدهشنى أنه خص بنقده تحقيق لرسالة الطوفى فى هذا الكتاب ؛ فأنا أعلم أنه مشغول منذ أعوام بتحقيق كتاب من خير كتب الطوفى هو « الإكسير فى قواعد التفسير » ، وأعلم أنه بحكم هذه الصحبة الطويلة لنظر فى حريص على أن ينتصف له ، ويدافع عن كتبه .

ولما كنت أعلم أن بين أخى المحقق وبينى من الود ما يسمح لى حين يخطىء أن أقول له لقد أخطأت وأنا آمن غضبه وعتبه معا ، فإننى أهدى إليه هذه النظرات فى مقاله ، وأنا واثق من أنه سيتقبل بروح الباحث المنصف ما فيها من إنصاف للحقيقة ، ودفاع عن الحق .

١ — قال فضيلته إننى اعتبرت النسخ التى اعتمدت عليها فى نشر الرسالة أربعا ، مع أن الثالثة والرابعة منها مطبوعتان لا يسوغ الاعتماد عليهما . وأحب أن أطمئنه على أننى لم أعتمد على المطبوعتين فى تحقيق ، لا لأنهما مطبوعتان فحسب ، ولكن لأنهما تجريد من الرسالة ، فليستا فى عرف التحقيق العلمى أصلين ، ولا يمكن أن تعتبرا كذلك ، ولكى يتأكد له هذا ، ينبغى أن يرجع إلى نقدى لهما فى الكلمة التى قدمت بها التحقيق ، بعنوان « بين يدى النص » ، فسيجد أننى جليت نواحى النقص فيهما ، وسيدرك أننى إنما أوردت فى مواطن من التحقيق بعض ما ورد فيهما للموازنة ، دون اعتماد عليهما .

مكتبتنا العربية

٢ — وخطأ فضيلته كلمة (العوائد) جمعا للعادة، ثم تساءل لماذا لم أفرق بينها وبين العادات ؟ ولماذا لم أختر كلمة (العادات) لأنها هى المناسبة هناك ؟

ولى على هذه التخطئة ملاحظتان جديرتان باهتمام ناقد باحث فى مثل علمه وفضله ، أولاهما أن كلمة (العوائد) هى التى وردت فى المخطوطتين [كما نبهت فى الهامش] ، ولهذا وجب أن تبقى ما دام هناك وجه لتصحيحها ؛ بناء على ما قرره هو .

والثانية أن الكلمة صحيحة بمعنى العادات ، فهى — مثلها — جمع للعادة ، وقد ذكر ذلك صاحب المصباح المنير حيث قال : « والعادة معروفة ، وجمعها عاد وعادات وعوائد » .

٣ — وأخذ على فضيلته أننى لم أشرح كلمة (العترة) ، عندما قررت أن فى النسختين المطبوعتين بعد دليل إجماع العترة زيادة هى (عند الشيعة) ، ثم أورد ما ذكره صاحب الأساس شرحا للكلمة .

وكنت أحب أن يذكر أننى لم أكتب رسالتى لأوساط المثقفين . ممن يحتاجون إلى شرح هذه الكلمة ، وأن القيد الذى زاده القاسمى لا وجود له فى المخطوطتين ، فلا قيمة له ، وأن منهجى فى التحقيق — وقد بينته هناك — ليس فيه شرح لمفردات ، بدليل أننى لم أشرح كلمة واحدة فى النص كله ، مع أنه يقع فى نحو ثلاث ملازم ، ومع أن فيه كلمات كثيرة يحتاج أوساط المثقفين إلى شرحها .

٤ — ويقرر فضيلته أن اللغة مبنية فى صورها البليغة على الإيجاز والاختصار . حين يأخذ على أننى زدت كلمة (أهل) على دليل إجماع المدينة ؛ ليصبح (إجماع أهل المدينة) . أما أنا فأستميح الصور البليغة فى اللغة عذرا ، إذا أصررت على إبقاء الكلمة التى وجدتها ، ولنفس السبب الذى ذكرته هناك ؛ ذلك أن هذا التعبير اصطلاح للأصوليين ، فليس من حق أحد — حتى الطوفى — أن يتصرف فيه ، ومن البديهيات أنه لا مشاحة فى الاصطلاح !

٥ — ويورد فضيلته من رسالة الطوفى كما حققتها هذه العبارة [ثم إن قول النبى صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » يقتضى رعاية المصالح إثباتا ، والمفاسد نفيا : إذ الضرر

مكتبتنا العربية

هو المفسدة ، فإذا نفاها الشارع لزم إثبات النفع الذى هو المصلحة ؛ لأنهما نقيضان لا واسطة بينهما ، ثم يأخذ على أننى زدت فيها كلمة (المفاسد) ، وأننى ذكّرت ضمير (نفاها) مع أنه يمكن رجعه إلى المصلحة .

والذى أحب أن أذكره هنا أن الطوفى هو الذى أورد العبارة هكذا ، وأن كلمة (المفاسد) واردة فى جميع النسخ ، وأن ضمير (نفاها) بقى فى الرسالة مؤنثا كما ورد فى النسخ ، وإن كنت قد رجحت فى الهامش تذكيره ، وأن هذا الضمير لا يمكن بحال أن يرجع إلى المصلحة ؛ لأن العبارة لا تصح إلا بإعادته إلى المفسدة ، أو إلى الضرر إذا كان مذكرا ... وليرجع فضيلته إذا شاء إلى هذا الموضع فى الرسالة ؛ فسيتأكد له كل هذا الذى ذكرته .

٦ — وفى النسخة (ا) من المخطوطتين ورد دليل (العرف) بلفظ (العرفة) ، فلما آثرت عليها ما ورد فى النسخة (ب) لأنه هو الصحيح — أخذ على فضيلة الناقد أننى خطأت كلمة (العرفة) وقال إن العرفة معناها المعرفة ، وأصل العرف هو المعرفة ...

وأنا أقرر أنه لو وردت الكلمة بلفظ (العرفة) فى المخطوطتين معاً — لا فى واحدة فقط — لصححتها إلى كلمة (العرف) دون تردد ؛ إذ ورود العرفة فى اللغة بمعنى المعرفة لا يعنى تسويغ استعمالها بمعنى (العرف) ، وهى - بعد - اصطلاح لا مشاحة فيه ، فكيف لغيره ؟

٧ — ويأخذ على فضيلة الناقد أننى قد حذفت لام التعليل من قول الطوفى : « حجة الأولين أن الله عز وجل متصرف فى خلقه بالملك فلا يجب عليه شىء ، ولأن الإيجاب يستدعى موجبا أعلى ، ولا أعلى من الله عز وجل » . قائلا إن بقاء اللام يمكن على أن يكون الكلام من عطف الجمل المستقلة مع التصرف فى التعبير ...

وأنا أسأل فضيلته : أين هى الجملة المستقلة التى يمكن عطفها إذا بقيت اللام ؟ وأين هى الجملة المعطوف عليها ؟ وكيف يمكن تخريج العبارة على هذا النحو العجيب ؟

٨ — واختلفت المخطوطتان فى عبارة الطوفى هى : « وجه الاستدلال به أنه ورد بألفاظ متعددة بلغت درجة التواتر المعنوى » ، فوردت فى إحداهما [بلغ التواتر] ، ووردت

مكتبتنا العربية

فى الاخرى [بمبلغ التواتر] ... ولما صححها على النحو الذى أوردته هنا . أخذ على فضيلة الناقد هذا التصحيح ، وزعم أن ما ورد فى النسخة الثانية هو ما جاء فى الاصل ، ثم قال إنها صحيحة بتقدير : وروايات متعددة هى كائنة بمبلغ التواتر ...

وأنا أعيد أسلوب الطوفى أن يكون فيه عبارة [هى كائنة !] ، وأسجل أن الاصلين مختلفان فى هذا التعبير ، وأن ما آثرته هو ما يتفق وأسلوب مصطلح الحديث ...

٩ — وورد حديث « يد الله مع الجماعة » بلفظ (على الجماعة) فى رسالة الطوفى ، فلما أبدلت مع بعلى فيه - نقد المحقق الفاضل هذا التصرف منى ، وزعم أن رواية الترمذى هى « يد الله على الجماعة » ، وأنها إحدى روايتين للطبرانى ... وقد رجعت إلى سنن الترمذى فإذا الحديث فيها كما صححته ، لا كما ذكره الصديق . ويستطيع فضيلته أن يرجع إلى ص ٢٥ ج ٢ من السنن ، طبعة بولاق سنة ١٢٩٢ هـ ... أما الطبرانى ، فإن له ثلاثة معاجم لم يذكر الصديق مكان الحديث فيها ، وكم كنت - وما زلت - أرجو أن يفعل . على أن الترمذى أوثق منه ، وقد روى الحديث فى موضعين من الصفحة التى ذكرتها بمع لا بعلى .

١٠ — ونقد الصديق تصحيحى لكلمة (السنة) فى عبارة [أما أحمد بن حنبل فكان أحفظ الناس للسنة] . وزعم أنها وردت فى الأصل (لسنة) ... وأنا أرى أن تصحيحها على النحو الذى صححتها به أقرب ؛ لأنه لا يحتاج إلى أكثر من وصل الالف باللام ، ثم لأنه أوضح وأدل على المراد به .

وبعد ، فلى عتب على الصديق الفاضل أنه جعلنى ناشرا - لا محققا - ثلاث عشرة مرة فى مقاله ، ثم تفضل فاعتبرنى مؤلفا عند ما أصلحت حديث « يد الله مع الجماعة » ... ومعاذ الله أن أسىء بالصديق الفاضل النية فى كلمة أعتقد أن قلمه قد سبق بها : فكم تتجنى الأقلام على حملتها ، وكم تقتص لنفسها من الذين لا يريحونها ؟

مصطفى زيد
المدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

مكتبتنا العربية

لغويات

جميل هو الوفاء، نفوس عالية تلك التى يحملها الأباة

يتردد هذان الأسلوبان فى هذه الأيام ، وتتردد أساليب تقرب منهما ، وهمى هنا تخريجهما على قواعد العربية .

١ — فالأسلوب الأول فيه الإضمار قبل الذكر . وهذا خلاف أصل الإضمار ، فحقه أن يكون بعد الذكر . وقد جاء الخروج على هذا الأصل فى أحوال مدونة فى النحو . ويتخرج الأسلوب على أحد أوجه ثلاثة :

(ا) أن يكون ترتيب الجملة مقلوباً . وأصلها : الوفاء هو جميل . فالوفاء مبتدأ أول ، و (هو) مبتدأ ثان ، و (جميل) خبره ، والجملة خبر (الوفاء) . وسوغ الإضمار قبل الذكر تقدم المرجع فى الرتبة .

ويشبه هذا التخريج ماقيل فى بيت أبى العلاء المعرى :

تعب كلها الحياة فما أعجـ ـب إلا من راغب فى ازدياد

فقد قيل : إن أصل الترتيب : الحياة كلها تعب . فالحياة مبتدأ أول ، و (كلها) مبتدأ ثان ، و (تعب) خبره . ولا يكون (كلها) توكيداً للحياة إذ كان التوكيد لا يتقدم على المؤكد - بفتح الكاف - .

(ب) وأن يكون (هو) مبتدأ ، و (الوفاء) بدل منه ، و (جميل) الخبر . والإضمار قبل الذكر فى هذا الموطن مما يقبل ويستساغ .

(ج) وأن يكون ترتيب الجملة فى الأصل: الوفاء جميل هو. فالوفاء مبتدأ ، و (جميل) خبره ، و (هو) توكيد للضمير المستتر فى (جميل) . وهذا كما فى قول جميل .

فإن يك جثمانى بأرض سواكم فإن فؤادى عندك الدهر أجمع

فأجمع توكيد للضمير الذى كان فى الخبر ، فلما حذف الخبر انتقل إلى الظرف واستتر فيه .

مكتبتنا العربية

وقد خرج على هذا الوجه قول أبي العلاء السابق : « تعب كلها الحياة » ، قيل : إن ترتيب الكلام : الحياة تعب كلها . فالحياة مبتدأ ، و (تعب) خبره ، و (كلها) توكيد للضمير المستكن فى (تعب) على تأويله بالوصف أى متعبة . على أن الكسائى والرمانى وجماعة من النحويين يرون تحمل الجامد للضمير وإن لم يؤول بالوصف . ويرى الخوارزمى فى كتابته [1] على سقط الزند أن « كلها » بدل من الضمير المستكن فى (تعب) ، والأظهر أن يكون توكيدا كما ذكرت ، إذ الأكثر فى هذا اللفظ أن يكون تابعا ولا يستقل .

ومما يقرب من هذا الأسلوب الأول ماقرأته فى إحدى المجلات : « كم هو كبير الفرق بين الحياة التى كان يحياها الرسول ﷺ وصحابته فى دنياه المحدودة إذ ذاك ، وبين الحياة التى كان يحياها صحابته الأكرمون من بعده » . وهذا يجوز فيه أن يكون أصل التركيب : الفرق هو كبير . فالفرق مبتدأ أول ، وجملة (هو كبير) خبره . ويجوز أن يكون (هو) مبتدأ ، و (كبير) خبره ، و (الفرق) بدل من (هو) . وفى هذا الوجه الفصل بين البدل والمبدل منه . وهذا سائغ ، إذ كان الفصل بالخبر وهو غير أجنبى . ومما ورد فيه الفصل بين البدل والمبدل منه قوله تعالى : « يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا » ، فى بعض الأوجه أن (قليلا) بدل من (الليل) مع الفصل بالاستثناء .

٢ — والأسلوب الثانى لا ينكر النحوى منه شيئا . فليس فيه سوى تقديم الخبر ، وهذا شائع مستفيض .

ومما يقرب منه ما ورد فى شروح سقط الزند (الموضع السابق) منسوبا إلى جار الله :

يا حبذا الدنيا وطيب نسيمها لو دامت الدنيا لقائل حبذا
قالوا : أذىً هذه الحياة وكلهم لهج بأن يبقى له هذا الأذى

ومما يقرب منه أيضاً أن يقال : إنها قصيرة تلك الأيام التى قضيتها فى السرور . فيجوز أن تكون « تلك الأيام » بدلا من الضمير فى (إنها) وعلى ذلك يقرأ بنصب (الأيام) ، ويجوز أن يكون الضمير فى (إنها) ضمير القصة ، على حد قوله تعالى فى الآية ٩٧ من سورة الأنبياء (فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا) وتكون جملة « قصيرة تلك الأيام » خبر ضمير القصة ، وفيها تقديم خبر المبتدأ كما فى الآية الكريمة .

---

(١) شروح سقط الزند ٩٧٨ .

مكتبتنا العربية

أنعم بك وأكرم

أنكرت الصيغة الأولى من هذا المثال ؛ إذ فيها صوغ التعجب من نعم وهو فعل جامد لا يأتى منه التعجب ، ويقول الاشمونى فى شرحه للألفية فى الكلام على شروط ما يصاغ منه التعجب : « الثالث أن يكون متصرفا ، فلا يبنيان من نحو نعم وبئس ، وشذ ما أعساه وأعس به » . على أنى رأيت فى شرح الرضى للكافية فى مبحث التعجب : « وقد يبنى من غير متصرف ؛ نحو ما أنعم وما أبأس » . وإذا ساغ ما أنعم فإنه يسوغ أنعم به ؛ إذ الصيغتان سواء . ولم أر هذا لغير الرضى . وقد كان واسع الاطلاع على آثار النحويين ، والظن أنه يثول فى هذا إلى سند وثيق .

ما أن قدم محمد حتى أقبل عليه المهنئون

سمعت كثيراً من المثقفين ينطقون مثل هذا الاسلوب بفتح همزة (أن) ، والصواب كسرها ، وذلك أنها إن النافية فى نحو قوله تعالى « إن أردنا إلا الحسنى » ، وقوله : « إن الكافرون إلا فى غرور » ، وقد جاءت بعد (ما) النافية مؤكدة لها كما يؤكد اللفظ بمرادفه . ومن موارد استعمالها قول النابغة فى اعتذاره للنعمان :

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند
ما إن أتيت بشىء أنت تكرهه إذاً فلا رفعت سوطى إلىّ يدى

وقد يقول قائل : ما تنكر أن تكون (أن) بفتح الهمزة هنا مزيدة على حد زيادتها فى قوله تعالى فى الآية ٩٦ من سورة يوسف « فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا » والجواب : أن مواضع زيادة (أن) محدودة مدونة ليس هذا الموضع منها .

على ضوء ما تقدم من البيان يصح كذا

ابتدع هذا الاسلوب فى عصرنا . ورأيت بعض حذاق الكتاب يقولون : فى ضوء ما تقدم ... فتراهم آثروا التعدية بالأداة (فى) على (على) . وكنت أستحسن هذا بأن الشأن فى الضوء أن يعلو ولا يعلى ، فلا يحمل فيه حرف الاستعلاء . وقد شد من هذا

مكتبتنا العربية

ووكده ماجاء فى ذيل الأمالى ٩٩ : « دخل رجل على عمر بن فرج ، فتنصل إليه من ذنب له ، فرضى عنه ، فلما خرج قال : يا غلام خذ الشمعة بين يديه ، فقال : دعنى أمش فى ضوء رضاك ، فاستحسن ذلك منه وأمر له بصلة حسنة » .

ومما جاء فيه هذا الاستعمال قوله تعالى : يكاد البرق يخطف أبصارهم ، كلما أضاء لهم مشوا فيه . فقوله : مشوا فيه أى فى البرق ، ويقول أبو حيان فى البحر المحيط : « أى مشوا فى نوره ومطرح لمعانه » . فترى التعدية بفى لا بعلى .

الأطيان الزراعية

الطين : التراب المختلط بالماء . هذا معناه فى اللغة . واشتهر الطين فى الأرض المزروعة ، لأنها تربة يمتزج بها الماء . فيقال : يملك فلان من الطين كذا فدانا . وهذا الاستعمال مولد لم يعرض له - فيما أعلم - مؤلفو المعاجم . وقد وجدت فى طبقات الشافعية (٤ / ٢١٩) للتاج السبكى المتوفى سنة ٧٧١ هـ فى الكلام على زيد بن عبد الله البقاعى « وكانت معيشته من أطيان له باليمن ، فاتجر وحصل مالا كثيراً بالمقارضة » .

كابول = كابل

كابل قصبة أفغانستان . وتردد ذكرها هذه الأيام فى صحف الأخبار . وجرى الكتاب على رسمها (كابول) فيقرؤها القارىء بمطل الضمة ومدها كما فى محمود ومسعود . وجرى العرب على كتابتها (كابل) والنطق بالضمة مختلسة غير ممطولة . وقد أنشد ياقوت فى معجم البلدان لفرعون بن عبد الرحمن التميمى :

وددت مخافة الحجاج أنى بكابل فى اسب شيطان رجيم

وأورد للأعشى وعنى بكابل أهلها :

ولقد شربت الخمر تر كض حولنا ترك وكابُلْ
كدم الذبيح غريبة مما يعتق أهل بابل

مكتبتنا العربية

وقد أتى كتاب العصر أنهم ينقلون اللفظ عن الكتابة الغربية ، والحركة عندهم ترسم بالحرف ، كما هو معروف (١) .

فقط أرجو منك كذا

الوارد فى الاستعمال أن تأتى « فقط » فى أعقاب الكلام ، فتقول : أرجو منك كذا فقط . ويقول الحريرى فى المقامة الثالثة والعشرين (الشعرية) :

من ذا الذى ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

والكلمة مركبة من الفاء وقط ، ويقول السعد فى المطول : « قط اسم فعل بمعنى انته . ويصدر كثيراً بالفاء تزيينا للفظ ، كأنه جزاء شرط محذوف أى إذا كان كذلك فانته عن الآخر » . وإذا كان الأمر فى هذه الفاء أنها تشبه فاء جواب الشرط فإنه لا يصح أن تكون فى صدر الكلام كما لا يتصدر الجواب المقرون بالفاء ، وهى أيضاً تشبه فى صورتها فاء العطف ، وهى لا بد أن يتقدمها المعطوف عليه ، وعلى هذا يبين خطأ المثال المسطور وهو مما شاع فى هذه الأيام .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وقد نزع بعض الباحثين فى جواز التقديم إلى منزع غير سديد . فقد زعم أن (فقط) أضحت أداة للحصر كإنما ، فيجوز تقديمها من هذه المشابهة ، وزعم مرة أخرى أنها تشبه خلا الاستثنائية . وقد تقدمت فى قول الشاعر :

خلا الله لا أرجو سواك وإنما أعد عيالى شعبة من عيالكا

والأمر وراء ما زعم ، فإن وجود الفاء يوجب سبق كلام عليها ؟

محمد على النجار

---

(١) المجلة — ومن عواقب تقلهم بضاعتهم كلها عن الغرب كتابتهم اسم مدينة (دهلى) برسم (دلهى) ، وهى على ألسنة أهلها بلام مشددة تجاورها هاء تكاد تكون مختلسة لا يشعر السامع إن كانت قبل اللام أو بعدها ، فكان العلماء الاسلاميون من أهلها يكتبونها برسم (دهلى) والانجليز يرسمونها (دلهى) كما اختلفنا معهم فى رسم (الاسكندرية) فهم يرسمونها (الكسندريا) وبقدر ما يكون غريبا تسمية مسلمى الهند الاسكندرية باسمها الانجليزى فمن الغريب بقدر ذلك تسمية كتابنا مدينة (دهلى) باسمها الانجليزى . ترى أليس هذا من بقايا الاستعمار الثقافى ! ؟

مكتبتنا العربية

الاجتهاد والتقليد

يثير البحث حول الاجتهاد والتقليد الفينة بعد الفينة فريق من الناس ظانين أن الاجتهاد والتقليد ليس لهما حدود ولا سور حصين يمنع تسلق كل من لم تتوافر فيه هذه الشروط .

وقد يخيل أحيانا لبعض الناس أن معالم الاجتهاد قد زالت ، وأن طريقه قد انطمست ، فيخترع لنفسه طريقا يرسمها ، ويحددها بالاجتهاد ، ويبنى أحكامه عليها ، ومثل هـــذا - ولا شك - قد حاد عن الجادة ، وانحرف عن المحجة ، وتاه فى بيداء الوهم والخيال . فهو طبيب يعالج المرضى بلا علم ولا تجربة ، لم تتهيأ له الوسائل لمهمته ، ومثل هذا كالنبت الخبيث لا ينبت إلا فى الأرض الخبيثة ، فأولى للمجتمع الصالح والبيئات العلمية الحية أن تتخلص منه حتى تنقى عدواه ، وتحفظ الناس من شروره وبلواه ، فهو ضرر لا نفع فيه ، وشر لا خير فيه ، وداء عضال لا دواء له ، وعبء ثقيل لا يستطاع حمله .

وقد آثرت لهذه المناسبة كشف طريق الاجتهاد ، وطريق التقليد ، وتبيين محل الاجتهاد ، ومتى يكون التقليد ومتى يصح ، وتفصيل شروط الاجتهاد والتقليد ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة من أمرهم ، ويسيرون على طريق سوى حتى لا تلعب بعقولهم الأهواء ولا تهزمهم أعاصير الأدعياء .

ولما كان تفاوت الناس فى فهمهم وإدراكهم للأمور حالة طبيعية لا اختلاف فيها ولا امتراء ، لزم من ذلك تفاوتهم فى إدراك الأحكام ، والوقوف على مصادرها الشرعية ، فمنهم من يصل إلى الحكم بعد بحث فى النصوص ومدلولاتها والألفاظ ومعانيها ، وهؤلاء يسمون المجتهدين ، ومنهم من لا يستطيع النظر فى النصـوص ، ولا الوصول إلى إدراك الأحكام ، وهؤلاء يسمون المقلدين . والاجتهاد فى اللغة مأخوذ من الجهد - بضم الجيم - وهو المشقة والطاقة ، وعند الاصوليين استنفاد الوسع فى طلب الظن بحكم من الأحكام الشرعية على وجه يدرك المجتهد من نفسه العجز عن المزيد عليه ، فالمجتهد هو الفقيه المستفرغ لوسعه لتحصيل ظن بحكم شرعى .

وليس خافيا على كل من مارس فنـا من الفنون ، أو علما من العلوم ، أو حرفة من الحرف ، أن وصف الممارس لهذه الأشياء بصفة منها لا يصل إليه إلا بعد طول معاناة

مكتبتنا العربية

ومزاولة ، ورياضة طويلة لهذا الفن أو العلم ، ولا بد أن تحصل لصاحب الفن تجارب عديدة ، وتعرض له مشاكل كثيرة يحاول بنفسه وضع الحلول لها ، ويلم بكيفية معالجتها ، وهذا بعينه ما اشترطه الأصوليون فى المجتهد إذ قالوا : « لا بد للمجتهد من حصول ملكة يقتدر بها على استخراج الأحكام من مآخذها » .

ومن هذه الجملة القصيرة فى مبناها ، الغزيرة فى معناها الذى يوحى به الواقع والحس والمشاهدة ، يتبين أنه ليس من الحكمة ولا من العقل أن يذهب مريض يلتمس العلاج عند من لا يعرف الطب ولم تكن عنده ملكة به ، بل ليس من الحصافة أن يذهب من يبغى نوعا خاصاً من التجارة إلى من لا يحذقها ، ولم تكن هذه التجارة الخاصة ملكة له ، وهذه قضية قد فرغ منها عند أولى الألباب والنهى ، وعند من يعرفون الأمور على وجوهها من أهل العلم والعرفان ، وضابط هذا كله ما أرشدنا إليه القرآن الكريم بقوله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » .

وبعد هذا نعود إلى الميدان الفسيح الذى يتبارى فيه المجتهدون ، وتنحصر فيه دائرة أبحاثهم وجولاتهم ، وذلك المجال هو الآن وبعد عصر النبوة : الكتاب الكريم ، والسنة الصحيحة ، والإجماع ، والقياس . فهى محل البحث للعقول المستنيرة التى توفر لأهلها شرائط الاجتهاد ، وقد سلك هذا الطريق أقوام تمرست عقولهم ، وتدربت أفئدتهم على أساليب اللغة العربية ، وفهم أوضاعها ، ودلالات ألفاظها الصريحة والظاهرة ، والخفية ونحوها ، وألموا بالسنة الصحيحة إلماما يؤهلهم لدرجة الاجتهاد ، وأحاطوا بمواقع الإجماع إحاطة تكفهم عن البحث والاجتهاد فى الأحكام التى أجمع عليها ، ونضجت قرائحهم نضوجا يسمو بهم إلى إدراك الحكم فى تشريع الأحكام المنصوص عليها ، وإدراك الارتباط والجامع بين هذه الأحكام وغيرها من الحوادث التى لم ترد نصوص فيها ، ثم تفهم ما نص عليه فى ما لم ينص عليه ونقله إليه .

وبذلك المنهاج الواضح ، والدستور المحكم ، والضابط الشامل ، يظل معين استنباط الأحكام متدفقاً متفجراً لا ينضب ، ولا يجف ماء حياته ، ولا تفنى عناصر وجوده ، ولا يغلق بابه أمام من طرقه ، ولا يحرم من استعطاه . وقد تعرضت الكتب الأصولية لبسط شروط المجتهد ، وتحديد كل شرط منها ، حتى لا يتسابق فى ميدانه من يكبو جواد عقله ، ويخبو أوار فكره ، وتتبلد قريحته . وأول هذه الشروط وأحراها بالتدبر والإمعان ،

مكتبتنا العربية

معرفة قدر صالح من اللغة يمكن المجتهد من فهم لغات العرب ، والتمييز بين الألفاظ الوضعية ، والألفاظ الاستعارية ، والنص ، والظاهر ، والعام ، والخاص ، والمطلق ، والمقيد ، والمجمل ، والمفصل ، ومحوى الخطاب ، ومفهوم الكلام ، وما يدل على مفهومه بالمطابقة ، وما يدل بالتضمن ، وما يدل بالاستتباع ، والذى دعا الأصوليين إلى تحميل هذا الشرط كل هذه القيود ، وإحاطته بهذه السلسلة صعبة الحلقات إنما هو أخذ العدة ، واستيفاء الوسائل التى تشبه الآلة لكل صنعة من الصنائع ، وكل حرفة من الحرف ، أو مهنة من المهن ، وقد قيل : « من لم يحكم الآلة والاداة ، لم يصل إلى تمام الصنعة » ، ويذهب الغزالى فى مستصفاه إلى أن عدد آيات الأحكام التى يلزم المجتهد معرفتها خمسمائة آية ، ولم يشترط حفظها عن ظهر قلب بل يكفى أن يكون المجتهد عالما بمواضعها بحيث يستطيع أن يحصل على الآية التى يحتاج إليها فى وقت الحاجة ، وهذا الشرط يبدو هينا سهلا ، وعسيراً صعباً ، فى وقت واحد . فهو يبدو يسيراً سهلا لمن لم يخط خبراً بلغة العرب ، ولم ير بحارها الزاخرة ، وأمواجها المتلاطمة التى لا يستطيع أن يسير فوق لجتها إلا كل ربان ماهر خبير بمسالك البحار ، فمثل هذا الدخيل على لغة العرب مأفون العقل يخبط خبط العشواء لا يدرى مواضع أقدامه ، ولا مزالق أخطائه . ويبدو هذا الشرط عسيراً صعباً ، وفرساً شموساً لا يستطيع اعتلاءه إلا كل فارس اشتدت شكيمته ، وقويت عزيمته ، وأحاط خبراً بلغة العرب ، وتمرس بأساليبها ، فساس له قيادها ، وجلس على أريكتها ، وأخذ بناصيتها ، يفهم تصريف القول ، وتنوع الأساليب ، ويميز بين الصريح منها والكناية ، ويلم بجيد التعابير ، ورفيع الأساليب . ومثل هذا يعرف أين يضع قدمه ، وأين يسير ، وكيف يفهم ، وكيف يعبر ، وكيف يجيد الخطاب ويتصرف فى القول ، وقد أطلنا بعض الإطالة فى هذا الشرط لنضع حداً فاصلا ، وأعلاما واضحة ، بين رأيين اشتجرت بينهما الخصومة ، واشتد الجدل ، وحمى الوطيس ، حتى أدى النزاع بينهما إلى الحيرة والاضطراب ، وبلبلة الأفكار فى أمر الاجتهاد ، وفتح بابه أو غلقه ، ووجود مجتهد فى كل عصر أو عدم وجوده . وبالتالى أدى إلى أن الحوادث الطارئة والنوازل المستجدة ، هل تستطيع الشريعة الإسلامية أن تحكم فيها بما يؤدى إليه اجتهاد المجتهد على فرض وجوده فى كل عصر وزمان ، أم تقف الشريعة مكتوفة الأيدى ، عاجزة عن أن تحكم فى هذه الحوادث لعدم وجود مجتهد يستطيع أن يحكم فيها بما يؤدى إليه اجتهاده .

مكتبتنا العربية

وثانى الشروط معرفة تفسير القرآن خصوصا مايتعلق منه بالأحكام ، وما ورد من الآثار فى معانى الآيات وما روى عن الصحابة المعتبرين من أهل التفسير ، وكيف سلكوا مناهجها ، وأى معنى فهموا من مدارجها . ولو جهل تفسير سائر الآيات التى تتعلق بالمواعظ والقصص ، قيل لم يضره ذلك فى الاجتهاد ، فإن من الصحابة من كان لا يدرى تلك المواعظ ولم يتعلم بعد جميع القرآن ، وقد كان يعد من أهل الاجتهاد .

ثالثها : — معرفة الأحاديث ، والفرق بين الأحكام ، فمعرفة الأخبار بمتونها وأسانيدها ، والإحاطة بأحوال النقلة والرواة ، عدولها وثقاتها ، ومطعونها ومردودها ، والإحاطة بالوقائع الخاصة فيها وما هو عام ورد فى حادثة خاصة ، وما هو خاص عم فى الكل حكمه ، ثم الفرق بين الواجب ، والندب ، والإباحة ، والحظر ، والكراهة ، حتى لايشذ عن وجه من هذه الوجوه ، ولا يختلط عليه موضوع بموضوع ، كل ذلك لازم المجتهد ليكون محيطا بالسنة على وجه يمكنه من الاجتهاد . واكتفى الغزالى من السنة بمعرفة الأحاديث التى تتعلق بالأحكام ، ولم يشترط حفظها بل تكفى استطاعة الرجوع إليها عند الحاجة ، وقيل يكفيه من السنة خمسمائة حديث ، وضعف هذا القول بأن الأحاديث التى تؤخذ منها الأحكام الشرعية ألوف مؤلفة ، وقال ابن العربى فى المحصول هى ثلاثة آلاف ، وقال أحمد بن حنبل: الأصول التى يدور عليها العلم عن النبى ﷺ ينبغى أن تكون ألفاً ومائتين . وقال الغزالى وجماعة من الأصوليين : يكفيه مثل سنن أبى داود ومعرفة السنن للبيهقى مما يجمع أحاديث الأحكام . ونازعه النووى قائلا : « لايصح التمثيل بسنن أبى داود فإنها لم تستوعب ، وكم فى البخارى ومسلم من حديث حكمى ليس فيها !! كما نازعه ابن دقيق العيد قائلا : « إن كلام أهل العلم فى هذا الباب من قبيل الإفراط أو التفريط ، والحق الذى لاشك فيه ولا شبهة أن المجتهد لابد أن يكون عالما بما اشتملت عليه جوامع السنة التى صنفها أهل الفن كالأمهات الست ، وما يلحق بها ، والكتب التى التزم مصنفوها الصحة . ولا نشترط فى هذا أن تكون محفوظة له ، مستحضرة فى ذهنه ، بل يكون ممن يتمكن من استخراجها من مواضعها بالبحث عند الحاجة إلى ذلك لتمييز الصحيح منها ، والحسن ، والضعيف . وكذا يتمكن بالبحث فى كتب الجرح والتعديل من معرفة حال الرجال ، وما يوجب الجرح ، وما لايوجبه من الأسباب ، وما هو مقبول منها ، وما هو مردود ، وما هو قادح من العلل ، وما ليس بقادح .

مكتبتنا العربية

رابعاً : معرفة مواقع إجماع الصحابة والتابعين وتابع التابعين من السلف الصالحين حتى لا يقع اجتهاده فى مخالفة إجماع ، وليس بلازم أن يحفظ جميع مواقع الإجماع والخلاف بل كل مسألة يفتى فيها ينبغى أن يعلم أن فتواه ليست مخالفة للإجماع .

خامساً : أن يكون قادراً على الوصول إلى مواضع الاقيسة ، وكيفية النظر فيها ، من طلب أصل فى أول الأمر ، ثم طلب معنى يستنبط منه علة الحكم فيعلق الحكم عليه ، وبذلك يستطيع إلحاق الفرع بالأصل لوجود العلة المشتركة بينهما .

فهذه الشروط الخمسة لا بد من مراعاتها حتى يكون المجتهد مجتهداً واجب الاتباع ، ويجب على العامى تقليده ، فلو ثبتت الأحكام بغير هذا الطريق ، كانت أحكاماً مرسلة تابعة للهوى ، ليست صادرة من الشارع ، فإذا حصل المجتهد هذه المعارف ساغ له الاجتهاد ، ويكون الحكم الذى أدى إليه اجتهاده سائغاً فى الشرع ، ووجب على العامى تقليده والاخذ بفتواه .

ومن غريب أمر المثقفين فينا أنهم يضعون حواجز منيعة ، وحدوداً مكينة ، وأسواراً ثابتة ، لكل علم ، ولكل فن من الفنون التى يقوم بالتخصص فيها طائفة معينة ، فتراهم يرمون بالجهل والادعاء كل من حاول الخوض والتكلم فى علم لم يكن من أهله . ولا متخصصاً فيه ، على حين أن الخوض فى العلوم الشرعية أصبح مباحاً لمن ليس من أهله ، ولم يكن متخصصاً فيه ، بحجة أن الشريعة مباحة للجميع ، وليست قاصرة على من يسمون رجال الشرع ، ورجال الدين . وهذه مغالطة صريحة ، ومحاجة غريبة لم تسلك مسلك المعقول ، ولم تسر على طريق المنطق . فالشريعة مباحة لكل أحد ، وكل فن من الفنون مباح لكل أحد ، إذا ما توفرت له شروط الدخول والبحث فى هذا الفن أو العلم . فالطب مباح للجميع ، والجندية مباحة للجميع ، فهل يجوز لدجال غير ملم بالطب أن يتعرض لعلاج المرضى ، أو يجوز لمن لم يتدرب على الفنون العسكرية أن يخرج إلى ميدان القتال ، والدفاع عن الأوطان ، وهل يقول عاقل بذلك ؟ أم يجب الحجر على الطبيب الدجال ، والجاهل بفنون الحرب ، من أن يمارس كل منهما ما يريد أن يمارسه ، وأن يعمل ما يريد عمله ؟ ؟

ولعل من فى قلوبهم حب الشهرة ، والظهور والتكلم والكتابة والقول فى كل ميدان ، أن يلتزموا الحدود ، وأن يعملوا بقول الله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

عبد الله المراغى

مكتبتنا العربية

حول سكينة بنت الحسين

مهلا أيها الكتاب !!

لعمرى لقد أيقظت من كان نائما
وأسمعت من كانت له أذنان

يتبرع بعض الكتاب باقتراحات خاطئة يزفونها فى جلبة ورنين ، وقد تجد من يتبين زيفها من العقلاء ، فينبذها دبر أذنه ، ولكنها تصيب ارتياحا من أناس يستمعون القول فلا يفرقون بين صائبه وخاطئه ، بل ربما تحمسوا إلى تأييد ما يقرءون ، دون روية واتئاد .

فقد قرأت فى مجلة الثورة الصادرة فى ١٠ مارس سنة ١٩٥٥ ما يلى :

« اقرأ قصة سكينة بنت الحسين فى كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، وسوف تؤمن معى بأن حوادثها العاطرة تصلح أن تكون فيلما ناجحا ، وحاول أن تكتب هذه القصة للسينما ، مادام مخرجونا لايجدون الوقت للبحث عن هذه الروائع ، فى بطون الكتب » .

أقول : قرأت هذا الاقتراح فى حينه ، وتغاضيت عن التعليق عليه ليموت فى مهده ، دون أن يثير بعض اللغط والتساؤل .

ولكن علمت أن بعض المؤلفين قد احتضن الفكرة ، وسعى إلى كتابة هذا الفيلم السينمائى الناجح !! فكان لابد من التصحيح والتوجيه .

وأول ما يجب أن يكون مفهوما لدى صاحب الاقتراح الحصيف ، أن هناك فرقا شاسعاً بين كتب الأدب وكتب التاريخ . فكتاب الأغانى - وهو أحد أمهات كتب الأدب فى المكتبة العربية - يروى جميع مايتصل بالشعراء من حق وباطل ، لأن جامعه يهتم بالأثر الأدبى وحده ، ولا يعنيه إن كان الشعر منتحلا ، أو كانت القصة مختلقة ، بل إنه ليعرف الشعر المنتحل ، ويرويه لأثره الفنى ، ودلالته على التطور الأدبى ، وقد يروى أبو الفرج

مكتبتنا العربية

قصة عن شاعر ، تزوج الغول وحادث العنقاء ، وحارب الشياطين ، متّبعاً ذلك بما تنوقل فى موضوعه من شعر كثير . وصاحب الأغانى - كمفكر عاقل - يعلم بديهية هذه الأكاذيب ، ولكنه يسجلها أدبا يمتع الخيال ، ويذهب مع الفن فى أجوازه المترامية ، وعلى القارىء أن يضع الموازين ، فيفرق بين الوهم والواقع ، والحقيقة والخيال .

ولو أن شاعراً معاصراً نظم قصيدة فى الأطباق الطائرة ، وطار بأجنحة الخيال ، فذكر أحاديثه مع سكان المريخ ، ووصف ماشاهد فيه من مدن وأنهار وجبال ، ثم قدم قصيدته للقراء ، لأصبحت أدبا تتناقله كتب الفن وتسهب فى تحليله وتسجيله ، ولكن هذا الأثر الأدبى لا يكفى لإثبات سكان فى المريخ لمجرد نظمه فى شعر يؤثر ويذاع .

على أن كتب التاريخ القديمة فى المكتبة العربية لم تسلم من الأخبار الضعيفة التى يزدحم بها كتاب الأغانى ، فمؤلفو التاريخ - ولا سيما الذين يكلون قارىء الخبر إلى سنده - يجمعون ما يروى عن الحادثة من أخبار صادقة وكاذبة ، تاركين للقراء أن يقوموا بالموازنة العادلة بينها بأقدار رواتها ، وعليهم أن يتسلحوا بأدواتها الصحيحة من معرفة لتواريخ الرواة ، وتتبع لنتائج الحوادث ، وإدراك للبواعث المختلفة ، فإذا تم ذلك للباحث المؤرخ استطاع أن يفرق بين الدخيل والأصيل فيأخذ هذا ويدع ذاك .

يقول الكاتب الكبير الأستاذ محب الدين الخطيب فى مجلة الأزهر (صفر ١٣٧٢ هـ) من بحث له عن كتاب الطبرى فى التاريخ :

« إن مثل الطبرى ومن فى طبقته من العلماء الثقات المثبتين - فى إيرادهم الأخبار الضعيفة - كمثل رجال النيابة الآن ، إذا أرادوا أن يبحثوا قضية ما فإنهم يجمعون كل ما تصل إليه أيديهم من الأدلة والشواهد المتصلة بها ، مع علمهم بتفاهة بعضها أو ضعفه ، اعتمادا منهم على أن كل شىء سيقدر بقدره ... إلا أنهم يردون كل خبر معزو إلى راويه ، ليعرف القارىء قوة الخبر أو ضعفه من منزلة راويه العلمية ، وبذلك يرون أنهم أدوا الأمانة » .

فإذا كانت كتب التاريخ تحتاج إلى هذا العلاج الدائب الذى لا يهتدى إليه غير المهرة من النطس المتضلعين ، فما ظنك بكتب الأدب القديمة وكثير مما تحتضنه مختلق واضح التلفيق .

أعرف أن الكاتب العربى الأستاذ توفيق الفكيكى قد ألف كتابا عن سكينة بنت الحسين

مكتبتنا العربية

أدحض فيه روايات الأغانى بما يسنده البرهان ويؤيده الدليل ، ولم أقرأ الكتاب بعد لعدم اهتدائى إليه ، ولكنى قرأت للأديب الناقد الأستاذ محمد عبد الغنى حسن بمجلة الثقافة (عدد ٥٩٩) نقداً أدبياً عنه يقول فيه :

« إنه ـ المؤلف ـ لم يستند فى الدفاع إلى العاطفة وحدها ، ولكنه جعل من القضية مسألة علمية يناقشها بالدليل ، ويقارعها بالحجة ، ويناهضها بتضارب الروايات ، حتى يحكم على القضية كلها بالانهيار .

ولقد اتبع المؤلف فى كتابه طريقة المحامين فى الدفاع عن المتهمين ، فإن اختلاف الروايات فى التحقيق الجنائى ، قد يكون سببا إلى سقوط الاستدلال فى الاتهام ، وكذلك فعل صاحبنا الأستاذ الفكيكى فى قضية السيدة سكينة ، فأثبت من اختلاف الروايات فى الخبر الواحد ، دليلا على فساد الخبر كله ، ويتبع ذلك الفساد ثبوت البراءة للمتهمة البريئة !!

ونحن — فوق ما تقدم — نجد إلى جوار ما ذكره صاحب الأغانى عن السيدة سكينة كتبا أخرى لها مكانتها العلمية ، تذكرها بالعفاف والتصون ، ونتساءل مندهشين عن إيثار كتاب الأغانى وحده بالترجيح والوثوق ، فلا نجد سببا يرتضيه المنطق البرىء ، وليت شعرى إذا كانت روايات أبى الفرج عن السيدة مضطربة متناقضة فكيف ترجح ـ عند هؤلاء ـ روايات غيره ، وهى بمنأى شاسع عن التناقض السافر ؟! أيكون للنزوات الذاتية مساس شائن بهذا الترجيح المريب ؟ أم نسكت فلا نقول !!

لقد اعترف الدكتور زكى مبارك بأن كتب التصوف ترتفع بالسيدة إلى منزلة طاهرة سامية ، ومع هذا الاعتراف الدال على اطلاعه الشامل فقد آثر روايات الأغانى ، وتعمد أن يقول ـ عن السيدة الطاهرة فى كتابه حب ابن أبى ربيعة ص (١٨١) : « إنها كانت فى عفافها نزقة طائشة تؤثر الخفة على الوقار » ، وكان على الدكتور ـ وقد آثر روايات أبى الفرج وحدها ـ أن يدحض ما قرأه فى كتب التصوف ، ليستقيم له البحث الأدبى فى ميزانه النقدى ، ولكنه لم يستطع ذلك فى قليل أو كثير ، ومهما حاول سواه فلن يستطيع !!

لقد كان على المقترح المنصف أن يذكر البيئة الشريفة التى ترعرعت فيها السيدة الطاهرة ، وأن يذكر عناصر التربية القويمة التى تعهدتها خير تعهد فى نشأتها الكريمة ، ثم يتأمل هذا

مكتبتنا العربية

التضارب الصارخ فيما اختلقه الرواة ، مستشفا حوافزه وبواعثه ، وبذلك يكون قد خدم الحقيقة العلمية دون أن يتحيف سيدة طاهرة ، نشأت فى بيت أذهب الله عنه الرجس ، وطهره أكمل تطهير .

كان على كل من خاض فى إفك السيدة سكينة أن يفعل ذلك ، ولكنه - لحاجة فى نفس يعقوب - يتجاهله ويذهب مع الذين لا ينسون أوربا المماجنة فيما يهرفون به من الاباطيل ، فيزعمون أن « صالون » السيدة سكينة قد سبق صالونات فرنسا ، التى خرجت كثيراً من الادباء والشعراء ، وأن السيدة سكينة تزعمت الازياء فى عصرها ، فعرفت بالطرّة السكينية ، كما عرفت فرنسا بالطرة الباريسية !!

أى كلام هذا ؟ ؟ ، وأى عاقل منصف يوازن بين المجتمع الحجازى الطاهر فى صدر الإسلام ، ومجتمع فرنسا الداعر فى عهود التدهور الخلقى ، والانحلال الإباحى . أجل ! لقد ظهر بالحجاز لعهد سكينة بعض المترفين المتآلفين على التهاون ، فصحبوا الشعراء ، ولزموا القصف والغناء ، كما يظهر أمثال هؤلاء فى كل زمان ومكان ، وليس فى ظهور هذه العصابة الطائشة ما يحتم أن يكون المجتمع الحجازى صورة مشابهة لما يجرى فى فرنسا الإباحية من تدهور وانحلال ، ولعل هؤلاء الذين يعقدون هذه المقارنات المغرضة بين المجتمعين ، يظنون أنهم - لشغفهم بفرنسا - يرتفعون بمكة والمدينة إذ يقرنان مع باريس !! وتلك كارثة ، يندّ فيها العزاء .

إننا لفى حاجة ماسة إلى أن نفهم ديننا الذى نجهل كل شىء عن صاحبه ومجتمعه الأول فى صدر الإسلام ، فنصلح عقولنا التى غلفها الضلال ، وسترها الظلام . ثم نتأمل تاريخنا المفسيح المتشعب بعين النصفة والتحقيق ، وبعد ذلك كله يجوز لنا أن نمسك القلم معجبين ، فنسطر ما يعن لنا من الاقتراحات !!

ولكن متى يكون ذاك ؟

محمد رجب البيومى
المدرس بأبى تيج الثانوية

مكتبتنا العربية

فضيلة الاخلاص فى العمل

والسعى على الرزق

عن عامر بن سعد قال : كان سعد بن أبي وقاص فى إبله فجاءه ابنه عمر ، فلما رآه سعد قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب . فنزل فقال له : أنزلت فى إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم ؟ ! فضرب سعد فى صدره . فقال : اسكت ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى » رواه مسلم وأحمد . واللفظ لمسلم .

تقديم :

الغنى بمعنى الثراء ليس مناطا للحمد فى ذاته فى الإسلام ، ولهذا قال النووى : المراد بالغنى غنى النفس . هذا هو الغنى المحبوب لقوله صلى الله عليه وسلم : « ولكن الغنى غنى النفس » وقال : وأشار القاضى (عياض) إلى أن المراد بالغنى المال ، ولم يتعقبه .

والناظر فى سياق هذا الحديث واستشهاد سعد به يرى أن المراد بالغنى هو مثل هذا الذى يشتغل سعد به من الأخذ بالأسباب والسعى على الرزق ، وهذا أيضا هو موضع إنكار عمر على أبيه وتعجبه منه ، ولعله هو مراد القاضى على نوع من التوسع والمجاز ، فإنه لا ينبغى أن يكون مراده المال فى ذاته أو على إطلاقه لما علمت ، والقول الأول :

لعمرك ليس المال من حيلة الفتى ولكن أحاظ (١) قسمت وجدود

ويمكن أن يكون مراده خصوص المال الصالح اللازمه من الشكر ، وحسن التصرف .

وفسر النووى « الخفى » بالخامل المنقطع للعبادة ، والاشتغال بأمور نفسه ؛ والخمول ضد النباهة لا ما اشتهر من معناه ، وهو الكسل ؛ وبيانه على هذا الوجه يجعله كناية عن الإخلاص فى العمل ، والانقطاع له ، والهرب من الشهرة والمباهاة والفخر ؛ ومراده بالاشتغال بأمور نفسه ، الاشتغال بإصلاحها ، لا ما يتبادر من العبارة من مثل الأثرة والحرص .

---

(١) جمع حظ على غير قياس وهو النصيب من الخير ، والجدود مثلها فالعطف تفسيرى .

مكتبتنا العربية

المعنى :

الإسلام وسيلة وغاية . وجهاد ونية ، وعمل وإخلاص . أمر أهله بالسعى على الرزق كما أمرهم بالتقوى ، فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ، وقدم مرتبة العاملين الكادحين على الرهبان المتبتلين . ففى حديث الذين أثنوا على أخيهم بصيام النهار ، وقيام الليل ، حين سألهم النبى ﷺ عمن يعوله ؟ فقالوا : كلنا — أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم : « كلكم خير منه » وذلك أن القوى فى هذا الدين خير من الضعيف ، والمستعين بالله أفضل من العاجز ، والحريص على ماينفعه أشرف من المفرط ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، والمتوكل الآخذ بالأسباب على أدب مع الله سبحانه وتعالى ليس المتواكلين التاركين للأسباب ، والآكل من كسب يده على مرتبة من الحلال الطيب هى مرتبة الأنبياء والمرسلين ؛ والعاملون المخلصون هم القائمون بحق استخلاف الله إياهم فى الأرض ، وهم الصالحون لوراثتها ، بما أوتوا من همة وقوة ، وعزيمة وفتوة ، وصدق وإخلاص .

وهكذا كان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه . فعن عائشة وقد سئلت عن عمل رسول الله ﷺ فى بيته ؟ : كان يكون فى مهنة أهله . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى السوق ويشترى حاجته ويحملها بنفسه ، وكان أبو بكر رضى الله عنه يحمل الثياب على كتفه فيبيع ويشترى حتى إذا ما ولى الخلافة خوطب فى ترك التكسب لأجل شغله بالخلافة ، فقال : فمن أين أطعم عيالى ؟ ففرضوا له مايكفيه ، وكان من عادة عمر رضى الله عنه أن يسأل من يقدم عليه عن حرفته ، فإن لم يجد له حرفة سقط من عينه ، وقد كان هو يهنأ إبل الصدقة بيده [1] وقال ابن الجوزى : وكان سادة الصحابة والتابعين يتجرون ويجمعون الأموال .

وقد كان ذلك من أعون الأمور على نشر الدعوة ومعونة الداعى صلى الله عليه وسلم ، فى الحديث : « مانفعنى مال كمال أبى بكر » وتجهيز الغزاة : إلى مافيه من إصلاح حال الرجل وحال أهله ثم سائر إخوانه من المسلمين ، وفى الحديث « نعم المال الصالح للرجل الصالح » وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم لأنس بكثرة المال والولد ؛ وكان سعيد بن المسيب

(١) أى يطليها بالهناء وهو القطران علاجا للجرب .

مكتبتنا العربية

رضى الله عنه يقول : لاخير فيمن لايطلب المال : يقضى به دينه ، ويصون به عرضه ، ويصل به رحمه . فإن مات تركه ميراثا لمن بعده .

وإذا علمت هذه المقاصد الشريفة التى من أجلها شرع الإسلام العمل والكسب ، علمت أن الاشتغال بجمع المال ليس على مايريد منه السفهاء من الفخر والمباهاة والعلو فى الأرض والفساد فيها ، وعلمت وجه الجمع بين الغنى الذى فى الحديث والزهد فى الإمارة على ما أبداه سعد ، والإمامة المذمومة ليست تقديم الأمة لأرشدها ليلى أمرها ، بل تقديم المرء نفسه سائلا أو متعرضاً لها ، كهذا الذى أراده عمر بن سعد من أبيه ، فإن الأولى معانة ميسرة ، والثانية مخذولة معسرة ، فعن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يا عبد الرحمن ، لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها : على أن من أصول هذا الدين أن لا يعطاها من سألها أوحرص عليها ، فقد سأل رجلان النبى ﷺ أن يؤمرهما على بعض ما ولاه الله عز وجل فقال : « إنا والله لا نولى على هذا العمل أحدا سأله ، ولا أحداً حرص عليه » .

وويل للضعفاء منها . ففى الحديث : « إنها نعمت المرضعة ، وبئست الفاطمة » ، « وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا على من أخذها بحقها ، وأدى الذى عليه فيها » ، وقد قال النبى ﷺ لأبى ذر : « إنى أراك ضعيفا ، وإنى أحب لك ما أحب لنفسى ؛ لاتأمرن على اثنين ، ولا تولين مال يتيم » .

ولشدة الابتلاء بالإمارة والامتحان بها أعظم الله مثوبة من اختيروا لها ممن جاهدوا أهواءهم فعدلوا وأقسطوا ، ونصحوا لله ولرسوله ولكتابه والمؤمنين ؛ وقد تظاهرت بذلك الأحاديث الصحيحة ، فإن من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لاظل إلا ظله الإمام العادل ، وقال ﷺ : « إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهلهم وما ولوا » .

ولقد كان سعد جديراً بهذه المنزلة من الورع والخشية ، والاحتياط لنفسه ، وحسبه من الفضل أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأنه أول من رمى بسهم فى الإسلام ، وعن على رضى الله عنه : ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد [يعنى فى التفدية] غير سعد ابن مالك فإنه جعل يقول له يوم أحد : ارم فداك أبى وأمى ، ودعا له النبى ﷺ فقال : اللهم استجب دعوته ، وسدد رميته ، وقال : هذا خالى فليرنى امرؤ خاله .

مكتبتنا العربية

أما عمر ابنه فقد كان أهلا لأن يستعيذ منه أبوه . ولقد صدقت فيه فراسته ، فقد أدى به الطمع فى الإمارة أن وليها لعبيد الله بن زياد على الرى وهمدان ، فكان أن ابتلى بالدخول فى أكبر فتنة ؛ إذ أمره حين قدم الحسين رضى الله عنه إلى العراق أن يخرج إليه فيقاتله ، وهدده إن لم يطعه بعزله وهدم داره فأطاعه ، وكان على رأس الجيش الذى قتل الحسين رضى الله عنه . ثم انتقم الله منه إذ قتله المختار الثقفى وقتل ابنه حفصاً حين غلب على الكوفة فى عنفوان الدولة الأموية . وكان اعتزال سعد الناس بعد مقتل عثمان رضى الله عنه .

أما بعد : فإن المسلمين ما تأخروا ولا تخلفوا إلا حين حرصوا على الإمارة ، فجعلوها الغاية من طلب العلوم ، ومزاولة الأعمال ، والميزان الذى يزنون به قيم الناس وأقدار الرجال ؛ فخفت موازينهم ، وذهبت أقدارهم ، وحبطت أعمالهم ، وضل سعيهم ، وافتقر سوادهم ، وأقفرت بلادهم ، وتقدمت عليهم أمم قبست قليلا من نورهم ، وتعلقت بأثارة من مبادىء دينهم ، فأوتيت مفاتيح خزائن الأرض لأنها صارت أصلح لعمارتها ، وأقدر على الانتفاع بها ، وأصح علما بما أودع الله فيها ؛ وكفى بحالنا وحالهم : وقد تأخرنا من تقديم ، وتقدموا من تأخير ، دليلا على اتساع مسافة الخلف بيننا وبين ديننا ، وتنكبنا عن صراط ربنا وتنكرنا لسنة نبينا . ألا وإنه لا سبيل لنا إلى الخلاص مما نحن فيه حتى نقدم العلم المثمر ، والعمل المجدى . على الفخر الباطل ، والجاه الكاذب ، والغرور المفتون ، وأن يعرف طلاب الرياسة والزعامة ، والمنصب والجاه ، أنها أمانات ثقال . وأنها على غير أهلها ندامة ووبال ، وأن الشرف ليس فى طلبها بل فى الصلاحية لها مع الزهد فيها ، والإعراض عنها .

مثل المجد الذى تطلبه ... مثل الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعاً ... فإذا وليت عنه تبعك

محمود فرج العقدة
المدرس بكلية اللغة العربية

مكتبتنا العربية

حق الخطأ أم حق الثأر

١ — فى سنة ١٩٢٦ أخرج الأستاذ الفاضل الدكتور طه حسين كتابه « فى الشعر الجاهلى » مستنداً فى تقرير معلوماته إلى آراء المستشرقين والمبشرين ، أو آراء المبشرين العاملين على هدم الكيان الإسلامى وتحليل الخصائص القومية فى الأمم الإسلامية بالحيلة الظاهرة والغيلة الباطنة .

وكتاب كهذا ، يولد من تفكير المبشرين ونظرياتهم ، لابد أن يكون مفسافا وراء الغرض الأصلى من عمل المبشرين وهو الهجوم على الإسلام .

وبرغم أن مراتب الهجوم على الإسلام تتفاوت ، إلا أن الكتاب الذى وضعه الدكتور الفاضل كان فى الطرف الأقصى والأعنف من مراتب الهجوم ، فاختار — لأمر ما — ميدانه نصوص القرآن الكريم ، والتهكم الجرىء على نسب النبي ﷺ ، وكان فى أسلوبه فى هذه النواحى أقل « ظرفاً » أى تهذيبا من المبشر المسمى « بهاشم العربى » الذى تتطابق أقواله مع أقوال الدكتور طه حسين فى بعض المواضع — كما ثبت ذلك فى قرار النيابة التى تولت التحقيق معه فى ذلك الوقت .

قال الدكتور الفاضل فى كتابه المذكور ص ٢٦ « للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى . فضلا عن إثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة إسماعيل ابن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها ، ونحن مضطرون إلى أن نرى فى هذه القصة نوعا من (الحيلة) فى إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى » .

وقال ثانيا فى ص ٢٧ « فلأمر ما اقتنع الناس بأن النبي يجب أن يكون صفوة بنى هاشم ، وأن يكون بنو هاشم صفوة بنى عبد مناف ، وأن يكون بنو عبد مناف صفوة بنى قصى ، وأن تكون قصى صفوة قريش ، وقريش صفوة مضر ، ومضر صفوة عدنان ، وعدنان صفوة العرب ، والعرب صفوة الإنسانية كلها » .

مكتبتنا العربية

وبهذا التهكم المسموم الذى يشتمل فى خلاله حقد أجنبى يتحدث الدكتور — الأستاذ — عن نبى الإسلام .

وكان لا بد أن يقدم الدكتور المحقق ، بسبب هذا الهجوم غير المبرر ، الذى استعمل فيه أدوات المبشرين ، إلى النيابة العامة ، وقد ناقشته النيابة فى أقواله فكانت الفضيحة التى يندى لها جبين العلم والحقيقة .

وقد سجلت عليه النيابة هذه الفضيحة التى يجب ألا ينساها الناس فى العبارات الآتية :

قال النائب العام السيد محمد نور فى تقرير النيابة المؤرخ فى ١٩ اكتوبر سنة ١٩٢٦ المطبوع فى مطبعة « الشباب » ص ٧ :

« ... ولكن الأستاذ المؤلف وضع السؤال وحاول الإجابة عليه وتطرق فى بحثه إلى الكلام على مسائل فى غاية الخطورة صدم بها الأمة الإسلامية فى أعز ما لديها من الشعور ، ولوث نفسه بما تناوله من البحث فى هذا السبيل بغير فائدة ، ولم يوفق إلى الإجابة ، بل قد خرج من البحث بغير جواب » .

وقال فى موضع آخر ص ٩ :

« ... ولا يضيرها أن الأستاذ المؤلف ينكرها بغير دليل ، لأن طريقة الإنكار والتشكك بغير دليل طريقة سهلة جداً فى متناول كل إنسان عالما كان أو جاهلا .

على أننا نلاحظ أيضاً على المؤلف أنه لم يكن دقيقا فى بحثه ، وهو ذلك الرجل الذى يتشدد كل التشدد فى التمسك بطرق البحث الحديثة » .

وأعظم من ذلك فضيحة ما جاء فى ص ١٠ - وقد ادعى الدكتور الباحث فى بعض المواضع أنه يستند إلى النقوش والنصوص ، فلما سئل عن إيراد شىء من النصوص المؤيدة لدعواه قال : « فأما إيراد النصوص والأمثلة فيحتاج إلى ذاكرة لم يهبها الله لى ، ولا بد من الرجوع إلى الكتب المدونة .

فسألته النيابة مرة أخرى عما إذا كان يستطيع أن يقدم المراجع التى أشار إليها ، فقال بالحرف الواحد : « أنا لا أقدم شيئا » .

مكتبتنا العربية

ولماذا ؟ ألأن مرجعه الوحيد هو مقالة ذلك المبشر السالف الذكر ، نخشى أن يزداد سره افتضاحا ؟!

ومن ثم فقد دمغته النيابة — زيادة على ما تقدم — بالعجز عن الاستدلال ، وأن كلامه فى مسألة بعينها « خيال فى خيال » ، وبأن استدلاله فى هذه المسألة لا يخرج عن العبارات الآتية : « فليس يبعد أن يكون » . « فما الذى يمنع » . « نحن نعتقد » .

أى من الكلمات التى لا يقدم على استعمالها فى البحث والاستدلال صغار المتعلمين .

وبلغ نقد النيابة مداه حين وصفت الأستاذ المؤلف بأنه أخطأ فيما كتب ، وأخطأ فى تفسير ما كتب !! (ص ١٧) .

٢ — أردنا أن نقدم للقارىء هذه الصورة الواضحة من تاريخ الدكتور طه حسين العقلى والعلمى ، لا نريد التشنيع عليه وإنزال منزلته من نفوس بعض المغترين به ، فليس ذلك من شأننا ، وقد يكون لهذا الأديب الواسع الخيال ميزات أدبية لا تنكر ، ولكننا أردنا فقط أن نضع شخصيته تحت ضوء التحليل النفسى ، فإذا علمت أن الذى سبب للدكتور الطموح الشغوف بالشهرة والمكانة ، هذه الفضيحة القارعة ، فى أعز ما يملك إنسان يحيا على حساب القلم والفكر ، فإذا هو يصاب فى قيمة علمه وفكره ونزاهته فى الحكم ، ويتبين أنه ظل لغيره فيما طلع به على الناس من بحث وتجديد ، إذا علمت أن الذى أوقع به هذه الهزيمة إنما هم علماء الأزهر ، ثم لم تكن هذه أول هزيمة له منهم بل سبقتها هزيمة أخرى صدمت الطالب الحساس المزدهى فى مطلع شبابه ، وتركت فى أعماق نفسه جرحا ناغرا لا يبرأ أبدا - يتبين لك من هذه العوامل الفعالة الشديدة الإيغال أن الدكتور يعانى من ناحية الإسلام والأزهر « عقدة نفسية » شديدة التسلط على عقله وسلوكه وقلمه فى كل ما يتصل بهذه النواحى ، فلا يملك من طغيان هذه العقدة أن يكون قادراً على النزاهة ، أو إرادة النصح لا للأزهر ، ولا للأمة ، ولذلك يجىء كل ما يكتبه عن الأزهر والإسلام طياشا متخبطا بعيداً عن السداد .

وكذلك جاء مقاله الذى يدافع به عن مدرس تاريخ ألقى بفتوى خاطئة فى موضوع الصوم ، وراح يهاجم مشيخة الأزهر هجوما عنيفاً محموما بغير علة منطقية أو سبب ظاهر ، حتى وبغير اهتمام بدرس الموضوع من أوائله ، وسماه « حق الخطأ » فسميناه نحن « حق الثأر »

مكتبتنا العربية

لأن الدكتور يرى أن كل محاكمة هى محاكمته ، وكل فضيحة علمية أو أدبية هى فضيحته بالذات فيهب للثأر والانتقام ، كما قال الشاعر الحماسى :

فقلت له إن الشجا يبعث الشجا فدعنى فهذا كله قبر مالك

والآن - وقد ألقينا فى يديك المعاذير لرفع التهمة بكلام الدكتور طه حسين ، وعدم التعويل على آرائه فى هذه الناحية التى تستيقظ فى الاحتكاك بها هزائمه القديمة ، وتتحرك جراحاته الساكنة ، فلنتقدم معك فورا ، إلى نقض مقالة الدكتور نقضا تفصيليا :

٣ — يتلخص مقال الدكتور الكبير - بعد تجريده من الإضافات والتكرار وما لافائدة منه - فى خمسة عناصر :

(ا) زعمه أن صاحب الفتوى إذا كان مخطئا فلا مؤاخذة على الخطأ فرق أنه مجتهد ، والمجتهد المخطىء له أجر واحد ، والمصيب له أجران ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم » كما استند لمبدأ التيسير لا التعسير ، ومبدأ رفع الحرج ، المنصوص كل منهما فى القرآن .

(ب) زعمه أن مؤاخذة المخطئين فى آرائهم مبدأ لم يكن يعرفه المسلمون ولم يكونوا يأخذون به .

(ج) رجاؤه أن لو كان شيخ الأزهر قد أخذ صاحب الفتوى بالرفق واللين ، ونصحه بالحكمة والموعظة الحسنة .

(د) اغتمازه لعلماء الأزهر بهذه المناسبة لطوعيتهم الملكية السابقة .

(ه) استعداؤه الحكومة على الأزهر ، ودعوتها لإيقاف المحاكمة التى قررت بشأن صاحب الفتوى ، حذرا من فتنة - كما زعم - يتطاير شررها ، لاسيما وهناك على حدود أرض الوطن أحداث تجرى .

هذا بالضبط - ومع القيام بعملية تصيد مرهقة وسط بحر لجى من الألفاظ المرصوصة ، والعبارات المكررة ، والشواهد غير المطابقة - هو ما يمكن استخلاصه من مقال الدكتور العلامة . وإليك الجواب عنه ، عنصراً عنصراً .

٤ — فأما عن العنصر الأول : فالزعم بأن الخطأ على الإطلاق ليس فيه مؤاخذة ،

مكتبتنا العربية

غير صحيح واقعاً وقانوناً ، فإن الناس فى الخطأ رجلان : رجل يزاول عملا مشروعاً له ، كالفقيه المختص ، والطبيب المؤهل ، يفلت الصواب من أحدهما فى بعض أمره ، ويقوم الدليل المعتبر على نفى الإهمال والتقصير وسوء النية عن كليهما ، فترفع المؤاخذة عنهما قانوناً وشريعة ، ولكنهما برغم ذلك يصيبان من عدم ثقة الجمهور بهما وإعراضه عن صناعتهما ما يعتبر ـ فى سمعتهما وأسباب ارتزاقهما ـ من أشد العقوبات نكالا بهما .

ورجل هجام لا يعرف قدر نفسه ولا حدود اختصاصه ، فيقتحم على ما ليس له ، ويتكلف ما ليس من شغله ، كالدكتور طه حسين مثلا . لو تكلف أن يبدى رأياً فى الطبوغرافيا أو الرياضة التطبيقية أو أصول الفقه ، فأخطأ فى هذا الرأى ، فلا شك أنه يكون مؤاخذاً من فرعه إلى قدمه ، فلو ترتب على هذا الرأى ضرر مادى ، كخسارة عسكرية ، أو ضلالة الطلاب فى مزاولة مسئولياتهم فليس ينكر أحد أن مثل هذه الحالة ـ على فرض وجودها ـ تستوجب المؤاخذة المادية قانوناً وشرعاً .

وأنواع الخطأ التى يؤاخذ فيها القانون والشرع كثيرة جداً : منها الخطأ فى الصوم ، والخطأ فى القتل ، والخطأ فى صدام سيارة الدكتور طه حسين ـ لا قدر الله ـ من شخص يقود سيارته فى غير الاتجاه الصحيح ، إلى أشياء كثيرة من هذا القبيل ، فليس الخطأ بإطلاق معفواً جملة من المؤاخذة كما يريد أن يوهمنا الأديب الواسع الخيال .

وأما صاحب الفتوى الخاطئة ، فليس بمجتهد على كل حال ولا يثبت له حكم المجتهدين ، من أمثال أبى حنيفة ومالك ، ولا من دونهم فى ذلك درجات ، فالاجتهاد — كما نقول — هو نهاية الكفاية الفقهية والتشريعية ، وهى رتبة لا يتسلق إليها إلا الشوامخ العباقرة من أهل العلم والاستعداد والدرس ، وصاحب الفتوى لا يجاوز علمه فى الفقه حظ طلاب الأقسام الثانوية فى الأزهر ، من الوجهة الرسمية التى لا شك فيها ، فقد تخرج فى كلية أصول الدين ، ووظيفتها درس الفلسفة والعقائد وما إليها وليس لها صلة بدراسة الفقه والشريعة .

ومما يجب أن يعلمه القارىء جيداً هو أن الفلسفة الإسلامية والشريعة الإسلامية مادتان منفصلتان تمام الانفصال ، والمسافة بينهما كالمسافة بين كلية الآداب حيث تدرس الفلسفة واللغات وكلية الحقوق حيث تدرس القوانين والشرائع .

مكتبتنا العربية

ثم تخصص صاحب الفتوى بعد ذلك فى التاريخ فلم يكن علمه بالشريعة أكثر من علم الدكتور طه حسين فكلاهما رجل تاريخ !

ولا يتوهم القارىء - كما يقع ذلك أحيانا - أننا نمنع المؤرخ ، والطبيب ، والمهندس ، وكل مسلم ، من البحث فى الدين وتعرف حكمه وأحكامه . كلا ، إنما ينصب كلامنا فى هذا الموضوع على نقطة معينة ، هى أن حق الاجتهاد فى أحكام الدين واستنباط أحكام لم تكن مسبوقة ، حق خطير شديد الخطورة . لا يعطى إلا لمن تأهل له ونال رتبته عن درس وتخصص .

هذه شبهة خفيفة أزلناها ، وأما فيما وراء موضوع الاجتهاد فإننا ندعو جميع المسلمين من كل مستوى وحرفة ، للبحث فى أحكام الدين وتعرف مسائله . فإن شيوع مثل هذه المعرفة النافعة ، يقطع على « المهوشين » طريقهم عند الجمهور ، وكانت تغنينا عن هذه الزوبعة الجوفاء التى أثارتها فتوى بينة الخطأ لقوم يعلمون .

فأما الآية الكريمة : « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم » فقد وردت فى بيان حكم الادعياء فقط ، وهو نوع خاص من الخطأ عفا الشرع عنه ، كالخطأ المعفو عنه فى الأيمان المبين بقوله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان » فليست الآية عامة الحكم فى كل خطأ يقع ، ولو كان من طراز استعمال أفكار المبشرين فى نفى القواطع الإسلامية ، أو الإعراض عن الإجماع فى تحديد مواضع الفطر فى الصوم . كلا - أيها الباحث العلامة ! - ولكنها خاصة بموضع بعينه وهو مسألة الأبناء الأدعياء لا غير .

ثم لا ينفع الدكتور أيضا فى دفاعه - المتهافت - الاستغاثة بمبدأ التيسير ، ورفع الحرج فى الشريعة . لأن النظر لهذا المبدأ مشروط بعدم المصادمة للتكليف ، وما يتضمنه من مشقة فى العمل ، وقهر للنفس بالتزام الأمر والنهى .

وأما عن العنصر الثانى ، وهو زعمه أن المسلمين لم يسبق لهم مؤاخذة المجتهدين المخطئين ، فهذه كلمة مرددة يقول بها غير واحد من كتابنا ، فلا بد من إزالة الشبهة العالقة بها ، وذلك أن الذى صدر من صاحب الفتوى الخاطئة ، ليس من قبيل الاجتهاد ، بل هو من قبيل الابتداع ، وكما عرف المسلمون الأولون بالمسامحة عن الخطأ الناشىء عن الاجتهاد فقد عرفوا بالإنكار الأشد فى الخطأ الناشىء عن الابتداع من أول يوم نادى فيه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » .

وقد بينا أن صاحب الفتوى ليس من أهل الاجتهاد ولا يبلغ أن يكون هدبا فى ثوب

مكتبتنا العربية

أحدهم ، ونزيد الأمر بيانا بما قرره الإمام الغزالى فى المستصفى : من أن الاجتهاد إنما يكون فيما لا يصطدم مع نص قاطع أو إجماع ثابت ، والفتوى الخاطئة لم يقل بها أحد من علماء الملة قبل صاحبها .

وإذ ثبت أن هذه الفتوى ليست من قبيل الاجتهاد فقد تعين أن تكون ابتداعا ظاهراً ، وقد استفاض فى أوائل الأمة الإسلامية ، وتتابع ذلك فى عصورها ، الإنكار على المبتدعين ومؤاخذتهم ، بما يرد بدعتهم ويجنب العامة شرهم .

وقد عزر عمر بن الخطاب رجلا مبتدعا كان يلقى فى زمنه على المسلمين شبهات وأغاليط ونفاه من الأرض .

وسأل رجل الإمام مالكا عن قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » ، فقال : السؤال عنه بدعه . وأشار بجلد السائل عدداً من الجلدات .

فهذا — أعزكم الله — هو فقه المسألة التى يلج بها الدكتور طه حسين وغيره ، ممن تشتبه عليهم الأمور .

وأما عن العنصر الثالث ، وهو رجاؤه أن لو كان شيخ الأزهر قد نصح لصاحب الفتوى بالرفق والأناة قبل الشروع فى محاكمته ، فهذا كلام حق ولا يليق من شيخ الأزهر - أى شيخ للأزهر - غيره . فهل علم الدكتور الفاضل أن الأستاذ الأكبر قد سبق إلى ما أشار به ، وأن صاحب الفتوى قد جمح جماحا بعيدا ، وقال عن اللجنة العلمية التى كونت لمباحثته علميا إنه لا يعترف « بالكهنوت » ، وإن إعراضه عن هذه اللجنة العلمية ثابت فى محضر مؤيد بتوقيعه .

إن الذى يبدو لى من سلوك صاحب الفتوى الخاطئة أنه كان مزهوا بالشهرة إلى درجة ضيعت عليه كثيرا من مزايا التبصر والأناة .

وأما عن العنصر الرابع - وهو اغتمازه لعلماء الأزهر فى علاقتهم بالقصر ، فقد كنت أظن أن الدكتور الألمعى أكثر حصافة من أن يمس هذا الموضوع بالذات ، فما زالت مواقف تزلفه للملك السابق مذكورة مشهورة ، وما يوم حليمة بسر ، كما يقول المثل العربى القديم ، وما زالت مدائحه الملكية التى أفرغ فيها أعلى أساليب البيان وأروع صور البلاغة مسموعة تدوى فى آذان الناس حتى اليوم .

وأشهد ، لو أن مثالا عبقريا أراد أن يصنع تمثالا لأديب ممتاز يقف منكس الرأس بين يدى ملك ، لما وجد نموذجا أصدق فى الدلالة على غرضه من الصور التى كانت تنشرها

مكتبتنا العربية

الصحف فى ذلك العهد للدكتور طه حسين ، وهو ماثل فى الحضرة الملكية ينادى صاحبها من دون الناس جميعا ، بصاحب مصر ، وهى كلمة جارمة ، لم يكن يهتدى إلى استعمالها أعرق الملكيين ملكية ، وأشدهم على وراثة الملك إصرارا .

وأما عن العنصر الخامس - وهو استعداؤه الحكومة على مشيخة الأزهر ، وإغراؤها بالتدخل فى موضوع دينى يهز مشاعر المسلمين ، فنلفت نظر الدكتور الطيب القلب ، إلى أن هذه الجماعة من الشبان الذين يتولون حكم مصر اليوم طراز آخر غير طراز السياسيين الذين يعهدهم . فليس تجدى فى التأثير على اتجاهاتهم وتصرفاتهم أساليب الخداع والمكر التى كانت تجدى مع غيرهم ، وانهم قوم يتجهون إلى إدراك الواقع إدراكا مباشرا فلا يفلح عندهم « شغل النمر » .

إن هؤلاء الحكام أذكى وأحصف من أن يغضبوا المسلمين جميعا فى مسألة دينية معلومة للعامة والخاصة على سواء من أجل مرضاة أو مرضاة صاحب الفتوى الخاطئة .

إن التهويل بالخطر الجاثم على حدود الوطن والخوف من حدوث فتنة يتمادى شرها فى أنحاء العالم الإسلامى ، لا يقتضى من الوجهة السياسية الخالصة ، إرضاء فرد واحد يخطىء على حساب الملايين المعتزة بدينها والمتمسكة بما تلقته من أحكام فقهها ، فليس رجل ينصح الحكومة بهذا الرأى الفائل يكون صادق النصح لها .

ومهما يكن من شىء فالواجب على الدكتور أن يلتزم الحدود الأدبية فربما كان ذلك أنسب له . أما أن يقحم نفسه كمستشار سياسى على الحكومة فيما يجب أن تفعل ، ومالا يجب أن تفعل ، فهذا قد يفسر على أنه نوع من سوء الظن بكفايتها فى العمل والمعرفة بحقائق الأمور .

وعلى الدكتور طه حسين ، أن يتذكر فى مثل هذه المقامات دائما ، أن الذين يحكمون مصر اليوم غير الذين كانوا يحكمونها بالأمس ، فلا يكلف نفسه فى خداعهم شططا ؟

محمد سعاد جلال

حاصل على العالمية من درجة أستاذ

فى الفقه والأصول - ومدرس بالأزهر

مكتبتنا العربية

الدعوة الى هدم
ركن من أركان الاسلام

لما تداعت الأكلة على قصعة الإسلام فيما بين الحربين العالميتين ، واستبشر بعض أهل الزيغ والزندقة بما حدث فى تركيا بعد إلغاء الخلافة ، رأينا صحفاً تتولى مهمة التحريض على أن نعمل نحن هنا كما عمل الترك هناك ، وأقلاماً تمثل دور الإيحاء بمواصلة الخطوات فى هذا الطريق الخبيث . وظهر إلى جنب هذا العنصر من أهل التحريض والإيحاء عنصر آخر من أهل الطمع فى الكسب العاجل والظهور المصطنع على أكتاف الدين ، بل الدين الإسلامى على وجه التخصيص . ومع كل ذلك لم تبلغ الحماقة لا فى تركيا ولا فى مصر إلى حد المجاهرة بمهاجمة ركن من أركان الدين بالإنكار والتعطيل والهدم ، كما وقع فى رمضان الماضى عند ما أحجمت صحيفة أسسها غير مسلمين عن نشر ما تجرأت صحيفة أخرى يتسمى أصحابها بأسماء المسلمين على نشر مقال لساذج مسكين التمس الشهرة والظهور بدعوة المسلمين إلى التحلل من فريضة الصيام ، وإباحة الفطر فيه لغير الذين أباحه الله لهم ، بل لكل من شاء بلا استثناء ، وأن يجاهروا بذلك ليتهاونوا به ركن من أركان الإسلام الخمسة التى لا يكون المسلم مسلماً إلا بها .

ومن العجيب أن متعجل الشهرة والظهور بهذا البغى على المسلمين وشريعتهم ، لم يعرف عنه أنه تلقى دروس الفقه الإسلامى إلا بالقدر المقرر للدراسة الثانوية ، وأعجب من ذلك أنه يعيش من تدريس التاريخ وقد تبين أنه يجهل تاريخ أمير المؤمنين عثمان ذى النورين صهر رسول الله ﷺ المبشر بالشهادة والجنة ، كما يجهل معاذير سبط رسول الله الحسين ابن على رضى الله عنهما فى حركته من الحجاز إلى العراق بتحريض الذين كاتبوه وأوهموه أن الأمر مستتب ميسر ولن يكون فيه قتال ولا فساد ، فسوّد مدرس التاريخ الداعى إلى المجاهرة بإبطال الصيام فى الإسلام صفحات فى مجلة ذات ألوان تطاول فيها على مقام ذى النورين وثانى السبطين بما يجهله من حقائق تاريخ الصدر الأول للإسلام ، فدل بذلك على أنه جاهل بالتاريخ الإسلامى أكثر من جهله بشريعة الإسلام .

ولما كان من الخطر على طلبة الأزهر أن تستمر صلتهم بهذا المدرس المتنكر لتاريخ

مكتبتنا العربية

الإسلام وشريعته ، دعته المشيخة إلى إبداء وجهة نظره وذكر الشبه التى عرضت له أمام لجنة من شيوخه علماء المذاهب الأربعة فى يومى ١٨ و ٢٤ رمضان (١١ و ١٧ مايو) ، فكان موقفه بين يدى اللجنة فى المناقشة الفقهية كموقفه بين يدى الله فى الدعوة إلى تعطيل شريعته ، والانحراف عن أحد طرق عبادته . وحينئذ اضطر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر إلى أن يحيل هذا المتمرد على مناهج التدريس إلى مجلس تأديب - كما هو المتبع فى جميع وظائف الدولة ، وكما تقضى به أنظمتها - وعين لذلك يوم ٢٨ شوال (١٩ يونيه) كما يرى القارىء فى قرار الاتهام المنشور بعد هذا ، وما كاد مثير هذه الفتنة يشعر بعواقب ما انزلق فيه حتى قابل ذلك بثالثة الأثافى فكذب على أساتذة الكليات الأزهرية وافترى عليهم أنهم عقدوا فى يوم ٩ شوال (آخر مايو) مؤتمراً أيدوه فيه وعارضوا المشيخة فى إنشاء هيئة تأديبية لمحاكمته وعدوا ذلك اضطهاداً ومحاكمة فى مسائل العلم والدين ، وبلغت الجرأة به وبمن اتخذوه مخلب قط أن نشروا بياناً موقعاً عليه بأسماء ثمانية من المدرسين بزعم أنهم كانوا فى المؤتمر الموهوم وأنهم يتكلمون باسمه ، مع أن أحد الموقع بأسمائهم على البيان موجود فى خارج الجمهورية المصرية فى بعثة أزهرية ، وبادر الآخرون إلى إعلان أن ما نسب إليهم كذب وتزوير وغش وأنهم اتخذوا الإجراءات القانونية لحفظ سمعتهم الدينية ومركزهم العلمى .

ولما تمادى البغى على الشريعة الإسلامية وأهلها حتى بلغ هذا المبلغ هبت كليات الأزهر ومعاهده وجبهة علماء الأزهر لاستنكار هذه الأساليب الوضيعة . وفى صباح يوم ١٧ شوال (٦ يونيه) عقد فى جامع شركس مؤتمر جامع لعلماء مساجد القاهرة حضره مدير الثقافة فى وزارة الأوقاف ومدير التفتيش الدينى ووكيل المساجد والمفتشون وجماهير الخطباء والأئمة والمدرسين ، وبعد خطب وكلمات ومناقشة استمرت إلى قبيل صلاة الظهر أصدر المؤتمرون بيانا عاما أعلنوا فيه أن هناك خطأ فى الفهم الشائع لحرية الرأى حتى صارت تطلق على من شاء أن يشوه الحقائق وأن ينشر الأكاذيب ، فإذا رأى من يعنيهم الأمر أن يتدخلوا لتصحيح الخطأ وبيان الحق من الباطل - وخاصة فيما يتصل بدين الله - صاح المغرضون : إن حرية الرأى فى خطر ! وإذا رأت الجهات المسئولة أن تناقش المخطىء قامت فى وجهها زوبعة مفتعلة من بعض الكتاب . وإذا كان المحامى المخطىء يحول إلى مجلس تأديب ، والطبيب المخطىء يحول إلى مجلس تأديب ، فهل يحمى المدرس الدينى المخطىء من أية مؤاخذة

مكتبتنا العربية

بعد أن ينكشف للعامة والخاصة أنه يخبط فى الإسلام خبطاً منكراً ؟ وهل مجلس التأديب فى الأزهر إلا مناقشة فى الرأى وتمحيص للحق ومقابلة الحجة بالحجة ؟ إن تزوير الفتوى كتزوير النقد جريمة يجب مكافحتها . وقد طالب المؤتمر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن يعامل بصرامة كل من تسول له نفسه العبث بتعاليم الإسلام ، ثم قرروا أخيراً الإعداد لمؤتمر جامع يضم علماء المساجد فى أنحاء الجمهورية لمكافحة الأفكار المسمومة التى تهد كيان الأمة وتعوق نهضتها الحاضرة .

وقبل ذلك فى يوم ١١ شوال (٢ يونيه) توجه إلى منزل المدرس محضر من محضرى محكمة بولاق - بناء على طلب صاحبى الفضيلة الشيخ أحمد محمد شاكر عضو المحكمة العليا الشرعية سابقا والشيخ محمد مبارك أحمد مفتش الوعظ بوزارة الشئون الاجتماعية ، ومحلهما المختار بمكتب الأستاذ الدكتور مصطفى الحفناوى المحامى - وكلفه بالحضور بجلسة الجنح أمام محكمة بولاق فى يوم الاحد ٢٦ من يونيه لمحاكمته بالمواد ١٦١ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ٣٠٢ و ٣٠٦ من قانون العقوبات والمادة ٩٨ ب من المرسوم بقانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٤٦ وقد طلب المدعيان فى كتاب موجه إلى وزير العدل اتخاذ اللازم لسماع أقوالها فى دعوى ترفع لدى المحكمة الشرعية بطريق الحسبة وموضوعها طلب التفريق بين المدرس وزوجته باعتباره مرتدا لأسباب مذكورة فى إعلان الدعوى .

وكما كان لهذه الفتوى الإلحادية هذا التأثير فى مصر كان لها تأثير أشد وأخطر فى العالم الإسلامى ، ويرى القارىء فى هذا الجزء نموذجا لذلك من الكتاب الوارد على المشيخة من الهند وجواب المشيخة عليه .

وفى يوم ٢٠ شوال (١١ يونيه) وجه فضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف كلمة نصح وإشفاق إلى المدرس الذى أثار هذه الفتنة قال له فيها : إن الذين يتظاهرون بالدفاع عنه اتخذوه كبش الفداء وحبالة الصيد ، وإنهم لا يهمهم أن يكون من الأبرار أو الفجار ، وما إغراؤهم له إلا ليشفوا صدورهم من نغل ، ويسعوا وراء فاشل من أمل . ثم قال له : كن شهما صريحا ومؤمنا مخلصا ، وأذعها كلمة مدوية فى شجاعة وإقدام : إنى أخطأت ، وما أنا أول مخطىء ، والرجوع إلى الحق شعار المؤمن ، والإصرار على الباطل ضعف وخور وذلة . وقد تظاهر المفتون بالاستجابة لهذه الدعوة ، لكن بأساليبه الملتوية التى أفقدته عطف المحرضين ، وزادته بعدا عن أهل الدين ، ثم حضر فى اليوم المحدد لمحاكمته ومعه ثلاثة محامين طلبوا التأجيل للاطلاع على عناصر الدعوى فأجلت أسبوعا .

مكتبتنا العربية

قـــــرار

باحالة الشيخ عبد الحميد بخيت

المدرس بكلية أصول الدين إلى مجلس التأديب

نشرت جريدة الأخبار فى العدد رقم ٨٩٥ من السنة الثالثة الصادر فى يوم الاثنين ١٦ من رمضان سنة ١٣٧٤ (٩ من مايو سنة ١٩٥٥) مقالا للشيخ عبد الحميد بخيت المدرس بكلية أصول الدين بعنوان « إباحة الفطر فى رمضان وشروطه » .

ومن حيث انه جاء فى هذا المقال أخطاء فى أحكام شرعية من شأنها التضليل والدعوة إلى التحلل من ركن من أهم أركان الإسلام وهو الصوم .

وبعد الاطلاع على قرارنا بتاريخ ١٧ من رمضان سنة ١٣٧٤ الموافق ١٠ من مايو سنة ١٩٥٥ بتأليف لجنة علمية للتحقيق مع المذكور فيما جاء فى هذا المقال .

وبعد الاطلاع على محضرى التحقيق الذى سئل فيه المذكور فى الجلستين المنعقدتين فى ١٨ و ٢٥ من رمضان سنة ١٢٧٤ الموافق (١١ و ١٧ من مايو سنة ١٩٥٥) .

وبعد الاطلاع على المادة (١٣١) من القانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥١ بشأن نظام موظفى الدولة .

وعلى المادة (٤٥) من المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والمعاهد الدينية خاصا بمجلس تأديب أعضاء هيئة التدريس .

قـــــرر

أولا : إحالة الشيخ عبد الحميد بخيت المدرس بكلية أصول الدين على مجلس التأديب المنصوص عنه فى المادة (٤٥) من المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم

مكتبتنا العربية

الجامع الأزهر والمعاهد الدينية لمحاكمته تأديبيا على ما جاء فى المقال الذى نشر له فى جريدة الأخبار فى العدد رقم ٨٩٥ من السنة الثالثة الصادر فى ١٦ من رمضان سنة ١٣٧٤ (الموافق ٩ من مايو سنة ١٩٥٥) بعنوان « إباحة الفطر فى رمضان وشروطه » من المخالفات الصريحة لأحكام الصوم التى تكاد تكون معلومة من الدين الإســـلامى بالضرورة . وهذه المخالفات هى :

١ — قوله فى المقال سالف الذكر : ومن هنا رخص الله فى الإفطار لمن يؤذيهم الصوم ولو قليلا من الاذى .

٢ — وقوله : فمن يشق عليه الصوم أو يضايقه فإن له أن يفطر ويطعم كل يوم مسكينا فإن لم يجد فلا جناح عليه أن يفطر ولا يطعم .

٣ — ومنها أنه يدعو المفطرين لعذر إلى المجاهرة بالإفطار مع أن الشريعة ندبت من كان له عذر فى الإفطار ألا يجاهر الناس بالفطر حرصا على حرمة الشهر واحترام التقاليد الدينية وشعور الصائمين .

٤ — ومنها تضليل عامة الناس بذكر الأحاديث التى ساقها ليوهم القراء أنها أدلة شرعية على ما ادعاه من إباحة الفطر لأدنى ألم مع أن الأحاديث التى ساقها كلها واردة فى السفر والجهاد فى سبيل الله . ولا شك فى إباحة الفطر للمسافرين مع وجوب القضاء عليهم .

٥ — ومنها أنه أفتى المفطرين بعذر بأن الذى عليهم هو الفدية ، وسكت عما يجب عليهم من القضاء ليوهم أنه ليس عليهم قضاء ، وهذه فتوى لم يقل بها أحد من المسلمين .

٦ — ومنها أنه أمعن فى تضليل القراء بقوله حكمة مشروعية الصوم هى كما قال الله فى القرآن الكريم « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » . حقيقة ان هذه الآية الكريمة اشتملت على حكمة إباحة الفطر للمسافر

مكتبتنا العربية

والمريض وهى أن الله أراد بهم اليسر ولم يرد بهم العسر ، ولكن المنهم يأبى إلا أن يمعن فى التضليل فيستعمل الآية فى غير موضعها ليؤيد بها مدعاه .

٧ — ومنها قوله : إن شريعة الصوم لم تفرض إلا على الشغوفين به القادرين عليه الذين يؤدونه بدون ما برم أو ضجر .

وعلى العموم فإن كل ما جاء فى هذا المقال يعتبر فى جملته وتفصيله دعوة إلى التحلل من ركن من أهم أركان الإسلام وهو الصوم ، أو على الأقل إحداث شك وبلبلة أفكار عند المسلمين فى وجوب القيام بهذه الفريضة الشرعية ، فإن الناس قد يعتقدون أن ما تضمنه ذلك المقال فتوى شرعية يصح الاعتماد عليها من حيث انها صادرة من عالم من علماء الأزهر .

ثانياً — حددنا يوم الأحد ٢٨ من شوال سنة ١٣٧٤ (الموافق ١٩ من يونيه ١٩٥٥) لمحاكمته على ما نسب إليه وكلفناه بالحضور أمام مجلس التأديب الذى سينعقد فى الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم المذكور بالإدارة العامة للجامع الأزهر .

ثالثاً — على إدارة المستخدمين تنفيذ ذلك وإعلان المنهم بهذا القرار بالطرق القانونية قبل انعقاد المجلس بخمسة عشر يوما .

تحريراً فى { ١٠ شوال سنة ١٣٧٤ / أول يونية سنة ١٩٥٥

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

مكتبتنا العربية

١١٣٧

بين الأستاذ الأكبر والسيد محمد حبيب الله

صاحب الفضيلة الأستاذ المبجل شيخ الجامع
الأزهر :
القاهرة — مصر

The Roctor of Al-Azhar University,
Cairo—Egypt

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فأكتب لفضيلتكم وأنا فى غاية التأثر والألم لأعبر لكم عن الصدمة التى صدمتها عند قراءة ما نشرته الجرائد عن آراء الشيخ عبد الحميد بخيت أستاذ التاريخ الاسلامى بالأزهر .

وقد جاء فى هذه الجرائد أنه صرح بأن الصيام فى شهر رمضان غير واجب على المسلمين .

ونحن نكن أعظم التقدير للأزهر وعلمائه وقد حز فى نفوسنا وآلمنا أن نقرأ بيانا مذهلا كهذا البيان الذى يتعارض تمام التعارض مع تعاليم الاسلام . وقد أحدث نشره رجة عنيفة فى مدينتنا واخشى أن يؤدى الى تضليل الناس وأن يجعل موقف الامام عندنا فى غاية الحرج .

وقد اتصلت بأئمة المنطقة وعلمائها فأصدروا فتواهم بأن الصيام فى شهر رمضان واجب على كل مسلم . ولكنهم لم يحققوا طلبى فى معرفة بيانات أكثر عن موضوع الصيام . ولهذا فانى أتقدم الى فضيلتكم للحصول على بيان وإرشاد تام الوضوح عن هذا الموضوع .

فأرجو أن تتفضلوا بازالة الشكوك وانارتنا بعلمكم فتبينوا لنا بالتفصيل ما إذا كان الصيام

Most respected sir,

Assalamu Alaikum.

It is with profound sorrow I have to write you that I am shocked to read the newspaper report about the remarks made by sheikh Abdul Hamed Bakheet, professor of Islamic History at Al-Azhar, wherein he is reported to have said that fasting during Ramzan month is not obligatory for a Muslim.

I have the greatest respect for Al-Azhar and its Ulemas, but it pains me to read such a shocking report which is quite contrary to the teachings of Islam. This report has caused a stir in our town, and, I fear we may be mislead and our "Imam", God forbids, may be shaken

I approached the local Molvis and Ulemas and they have given the verdict that fasting during Ramzan is obligatory for every Muslim. But it has not satisfied my quest for more knowledge about fasting, and hence, I approach you for a clear guidance.

Please kindly clear the doubt and enlighten me with your knowledge whether fasting is obligatory

مكتبتنا العربية

or non obligatory as contended by the learned sheikh Abdul Hamid Bakheet.

Thanking you and awaiting an early reply.

With respects.

Your most faithfully,

D. Mohamed Habibulla

P.S. I am herewith enclosing the newspaper cutting for your kind perusal.

Ramzan fast not obligatory
Cairo professor's contention.
Cairo. May 12.

The Rector of Al Azhar University has ordered the setting up of a committee of four from the University's Ulemas to look into a profassor's claim that fasting during Ramzan month is not obligatory for a Muslim.

Sheikh Abdul Hamid Bakhaet, professor of Islamic History at Al Azhar, the oldest seat of Muslim learning, wrote recently, "Every day we see hundreds of people who are unable to keep Ramzan go into isolated places where they eat and drink".

Fasting should be observed only by those who can stand it. Those who cannot fast, may avquit themselves before Allah by feeding the poor or giving them money", he said. Ulemas at Al Azhar University strongly objected to the professors remarks-Reuter.

واجبا أو غير واجب كما يرى الشيخ العالم عبد الحميد بخيت . وأرجو أن يصلنى رد عاجل من فضيلتكم ولكم جزيل الشكر .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والاجلال .

١٥ مايو سنة ١٩٥٥

أمضاء [د . محمد حبيب الله]

ملحوظة : أرسل مرافقا لهذا قصاصة الجريدة الاطلاع عليها .

ترجمة القصاصة المرافقة لهذا الكتاب

صيام رمضان غير واجب — رأى أستاذ بالقاهرة

القاهرة فى ١٢ مايو

أمر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بتأليف لجنة من أربعة من علماء الكليات بالأزهر للنظر فيما ادعاه أحد الأساتذة من أن الصيام فى شهر رمضان غير واجب على المسلمين .

وقد كتب الشيخ عبد الحميد بخيت مؤخرا وهو أستاذ التاريخ الاسلامى بالأزهر أقدم مركز للدراسات الاسلامية « اننا نرى كل يوم مئات الأفراد من الناس الذين لا يقدرون على أداء رمضان يذهبون الى الأماكن النائية حيث يأكلون ويشربون » .

وأضاف « أنه لا يجب أن يراعى الصوم إلا من يقدر عليه أما الذين لا يستطيعون الصيام فيمكنهم تبرئة ذممهم أمام الله باطعام الفقراء أو التصدق عليهم » .

وقد استنكر علماء الازهر بشدة آراء الاستاذ المذكور . [رويتر]

مكتبتنا العربية

Mr. D. Mohamed Habibullah
Muslimpur. Vaniyambadi
N. A. Y. INDIA.

Respected Sir,

Assalamu alaykom wa rahmatu-llahi wa barakatoh.

We have received your letter dated 15-5-1955, expressing your profound sorrow and indignation, at what has been published by the newspapers, about Sheikh Abdul-Hamid Bakheet, teacher of History in Al-Azhar. You state in this letter that his contention has caused a stir, great perplexity and confusion in the mind of the Muslim people, for it was understood from this article that fasting is not obligatory in the Islamic Religion.

We beg to inform you that the writer of this article is not competent or specialisd in the Islamic Jurisprudence, his study of Fiqh or Islamic Law ended with the secondary section. He has not learnt Fiqh in the Higher Education and he specialised and obtained his degree in History. The contention attributed to him in the newspapers on this subject has no foundation or credit at all, is unworthy of consideration and must be neglec-

السيد الفاضل محمد حبيب الله

مسلمبور — فانيامبادى [الهند]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد

فقد تلقيت كتابكم ، الذى تبدون فيه استنكاركم واستياءكم ، لما نشرته الجرائد عن الشيخ عبد الحميد بخيت ، مدرس التاريخ بالأزهر ، وتذكرون أن ذلك المقال قد أحدث رجة عنيفة ، وبلبلة فى أفكار المسلمين، حيث فهم منه أن الصيام غير واجب فى الشريعة الاسلامية .

وأفيدكم أن كاتب هذا المقال ليس من المتخصصين فى الشريعة الاسلامية ، وأن دراسته فى الفقه الاسلامى قد انتهت بالدراسة الثانوية ، فهو لم يتناول الفقه فى التعليم العالى ، وكان تخصصه فى التاريخ . وأن ما نشرته الجرائد له فى هذا الموضوع لا يعول عليه ولا يؤبه له ، وقد أحيل إلى محاكمة تأديبية ، بتهمة التضليل والدعوة إلى النحلال من فريضة معلومة من الدين بالضرورة .

مكتبتنا العربية

fed completely. This teacher has been summoned to a disciplinary trial, with charge of misleading and inciting people to dispense with this prescription, necessarily known in the Islamic religion and recognised by all Muslims.

Al-Azhar Rector will preside the Discipline Council composed of the Vice-Ministsr of justice, the three Deens of Al-Azhar Faculties and two members of the Higher Council of Al-Azhar.

As for the rules prescriped by Allah on this point, we beg to state that the fast of Ramadhan is an absolute injunction and one of the four fundamental Islamic Institutions called the billars of Islam, after the recognition of one God and that Mohamed is his last prophet. Who soever denies that fast is obligatory is unanimously considered kafir, i.e. non Muslim.

Muslims are allowed to break the fast, in the case of disease or journey, with charge of fasting like number of other days, as the Almighty God has said in the Holy Quran : فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أوعلى سفر فعدة من أيام أخر .

The interpretation of the second paragraph of this verse is as follows : " Whoever is diseased or on a journey is allowed not to fast during the days of disease or journey, with charge of fasting

ويقوم بهذه المحاكمة هيئة يرأسها شيخ الجامع الازهر ، وأعضاؤها وكيل وزارة العدل وشيوخ الكليات الثلاث واثنان من أعضاء مجلس الازهر الأعلى .

أما حكم الله فى المسألة ، فان الصيام فريضة محكمة ، وهو أحد أركان الاسلام الاربعة ، بعد الشهادتين والذى ينكر فرضيته كافر بالاجماع

ثم أنه يباح الفطر بعذر المرض أو السفر مع وجوب الاعادة ، كما قال الله تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

مكتبتنا العربية

atterwards the number of days he has not observed ".

Excepted of this rule are the old weary and declining person and the one who is attacked of an incurable disease. These two kind of persons who do not expect to be able one day to fast - when they do not fast, being unable to keep it - are required to effect a redemption, by feeding a poor person for each day. This is the case meant by this verse of the Holy Quran :

« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين »

which means the persons who exhaust their strength in keeping it. This verse is also read :

« وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين »

i. e. those who find the fast as a heavy collar on their neck, because it is extremely hard and unbearable for them.

The Muslims are unanimous that the persons, allowed not to fast for one of the above-mentioned reasons, are not authorised to break the fast in public, by consideration of Muslim feelings and respect of the genral execution of this fundamental ordinance.

This is the clearing required, and we hope that this statement will bring things back in the right order, clear your doubts and calm your souls. We implore the Almi-

غير أن الهرم والمريض مرضا لا يرجى برؤه — وهما اللذان لا ينتظر أن يأتى عليهما زمن يستطيعان فيه قضاء الصوم ، عليهما — فى حالة الفطر للعجز عن الصوم — الفدية ، وهى إطعام مسكين عن كل يوم . وهذا هو المقصود بالآية الكريمة : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » أى يبذلون فيه غاية طاقتهم وآخر وسعهم ، وقد قرىء : « وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين » أى يكون — لما فيه من العسر والحرج عليهم — كالطوق فى أعناقهم .

وقد أجمع المسلمون على أنه لا ينبغى أن يجاهر المعذورون بافطارهم احتراما لشعور المسلمين ومحافظة على مظهر هذه الشعيرة الكريمة .

هذا ونرجو أن يكون فى هذا البيان ما يقر الأمر فى نصابه ويطمئن نفوسكم ، والله نسأل أن يحفظ الاسلام ويرد عنه كيد أعدائه وأن يجمع كلمة المسلمين

مكتبتنا العربية

على إقامة شعائر الدين والعمل بكتابه المبين ،

وصلى الله على سيدنا محمد إمام المتقين وسيد المرسلين

وعلى آله وصحبه أجمعين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... ؟

ghty God to preserve and protect Islam against the intrigues of its enemies and to unite Muslims in the execution of their religious ordinances and in pursuing His Clear Book. Would Allah grant peace and blessing to our Prophet Mohamed, leader of pious and chief of Allah' Messengers, to his relatives and to all his companion.

Wassalamu alaykom wa rahmatullah wa barakatoh.

The Rector of Al-Azhar شيخ الجامع الازهر

عبد الرحمن تاج

١٤ من شوال سنة ١٣٧٤

٥ من يونيه سنة ١٩٥٥

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مكتبتنا العربية

حرية الرأى

وحدودها فى المقطوع به من الشريعة

لمن حق الاجتهاد والفتوى ؟

نشر الشيخ عبد الحميد بخيت فى جريدة الأخبار يوم الاثنين ١٦ رمضان كلمة عنوانها إباحة الفطر فى رمضان وشروطه . ولوقوعه بإبداء هذا الرأى فى الخطأ الفاحش والزلل الجسيم بادرت مشيخة الازهر بالإنكار عليه ونبهت المسلمين إلى خطئه ، وقررت التحقيق معه ثم أحالته إلى مجلس التأديب الأعلى كما هو حقها شرعا وقانونا .

وقد ناصره فريق من الكتاب منهم الحقوقيون وحملة القانون ومدرسوه وأنكروا على مشيخة الازهر محاكمته : منهم من احتج على ذلك بأنه لا كهنوتية فى الإسلام ، ومنهم من احتج بأن فى محاكمته حجراً على حرية الفكر ، ومنهم من قال : إن الدين صلة بين العبد وربه ، وبعنى أنه لا شأن لاحد فيمن يتدين ويتصل بربه كما يشاء ويقول فى الدين ما يشاء .

ولما كانت حملة هؤلاء الكتاب لا تخص مسألة الشيخ بخيت ، بل يمكن أن تظهر فى الدفاع عن كل من يهجم على الدين والوقوف فى وجه من تصدى للدفاع عنه والتهويش عليه — ولو أثرت وانتصرت وتقرر ما يقولونه فى نفوس العامة لانحلت عرى الدين — لا قدر الله — ولم يتمكن حراسه من الدفاع عنه — رأيت من واجبى أن أبين للمسلمين حقيقة الواقع فى مثل هذه المسائل كما اتفق عليه سلف الأمة وخلفها ، ليكونوا على بينة من أمر دينهم ويميزوا الحق من الباطل فيما يقال ويكتب فى شأنه .

بعث الله سبحانه وتعالى سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا إلى الناس كافة فى وقت انتشر فيه الفساد ، وساد فيه القلق والفوضى والاضطراب ، وزاد الهرج والمرج بين الناس يهج بعضهم فى بعض على غير هدى . فكان إرساله رحمة للعالمين كما قال تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ، وشرع سبحانه وتعالى على لسانه ﷺ شريعة تكفلت بصوالح الخلق فى الدنيا والآخرة ، وبانتظام معاشهم ومعادهم ، وهذه الشريعة قسمان : أحكام اعتقادية أصلية المقصود منها اعتقادها والتصديق بها حسبما دل عليه البرهان العقلى القطعى وأيده

ما جاء فى كتاب الله الكريم وسنة نبيه المطهرة . والثانى : أحكام عملية المقصود منها العمل من المكلفين ، وكل مكلف لا تخلو أفعاله التى تصدر عنه باختياره عن حكم لله تعالى من الوجوب أو الحرمة أو غيرهما من باقى الأحكام الشرعية ، فالواجب الشرعى ما يثاب على فعله ويستحق العقاب على تركه ، والمحرم شرعاً ما يستحق العقاب على فعله ويثاب على تركه إن توجهت نفسه إليه ثم كفها عنه .

وقد شرع سبحانه وتعالى عقوبات فى الدنيا للمخالفين للأحكام الشرعية الحتمية : شرع فى بعضها - وهو المهم منها - حدوداً معينة يقيمها على المخالف ولى الأمر من المسلمين ، وشرع فى الباقى تعازير كما يراه ولى الأمر ، وأوعد سبحانه وتعالى المخالفين بالعذاب الشديد فى الدار الآخرة .

وقد نصب الشارع على هذه الأحكام أدلة منها الواضح الجلى ، ومنها الدقيق الخفى ، لذلك تنوعت هذه الأحكام إلى ثلاثة أنواع :

الأول أحكام يقينية قطعية نقلت إلينا بالتواتر القطعى بنقل الخلف عن السلف جيلا بعد جيل من عهد النبوة إلى الآن ، فلم يختص بعلمها الخاصة بل اشترك فى العلم بها العامة والخاصة ، فكان العلم بأنها من دين الإسلام علماً ضرورياً لا يختلف فيه اثنان ، وذلك كفرض الصلوات الخمس وصوم رمضان والزكاة وحج بيت الله الحرام وحرمة قتل النفس بغير حق والزنا وشرب الخمر والربا وغير ذلك مما هو معلوم .

وهذا النوع من الأحكام يختص بأمرين :-

الأول : أن من أنكر وجحد من المسلمين حكما من هذه الأحكام المعلومة من دين الإسلام بالضرورة يكفر ويرتد عن دين الإسلام ، لأنه بجحده هذا الحكم المعلوم قطعا أنه جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم كذب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن كذب الرسول كفر لأن الإيمان هو التصديق بما علم ضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم .

وأحكام المرتد عن الإسلام فى الشريعة الإسلامية معلومة : منها القتل إن أصر على ردته يتولاه ولى الأمر من المسلمين .

قال صلى الله عليه وسلم : « لا يحل قتل امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، وزنا بعد إحصان ، وقتل نفس بغير حق » وقال صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه » .

مكتبتنا العربية

ومنها التفريق بينه وبين زوجته ، وغير ذلك مما هو مقرر فى الفقه .

الأمر الثانى : أن هذا النوع من الأحكام لا مجال للاجتهاد فيه ولا يتصور ، لأن الاجتهاد استفراغ الوسع فى استنباط حكم شرعى غير معلوم . وهذا الحكم معلوم للخاصة والعامة .

النوع الثانى : أحكام شرعية أجمع عليها أئمة المسلمين لم يخالف فيها أحد ، لكن اختص بالعلم بها الخاصة دون العامة ، ومن أمثلتها استحقاق بنت الابن السدس مع البنت . وهذا النوع من الأحكام كالنوع الأول لا يجوز لمجتهد يأتى بعد الإجماع أن يخالفه ، لأن خرق الإجماع حرام . إلا أن الأئمة لم يتفقوا على تكفير منكره ، والصحيح أنه لا يكفر ، وإنما يأثم ويفسق إن علم به . ولا يجوز العمل بخلافه .

النوع الثالث : أحكام شرعية دقت أدلتها وخفيت ، ولذلك اختلفت أنظار الأئمة المجتهدين فى استنباطها وتنوعت المذاهب ، وليس فى هذا الاختلاف فى هذا النوع من الأحكام من حرج . كما أنه ليس من الاختلاف المذموم المنهى عنه .

أولا : لأنه وقع مثله فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بين الصحابة وأقرهم عليه .

ثانياً : لأنه ضرورى لا يمكن التفصى عنه . لأن المجتهد إذا أفرغ وسعه واستنبط الحكم من الأدلة واطمأنت نفسه إليه لا يجوز له مخالفته اتباعاً لغيره .

ثالثاً : لا ضرر فيه وإنما فيه فسحة وتيسير على العباد ، وقد اتفق الأئمة المعتبرون على أن كل مكلف غير مجتهد عمل بما تحقق أنه استنبطه أحد الأئمة المجتهدين يخرج عن عهدة التكليف ، سواء قلنا إن كل مجتهد مصيب وإن حكم الله فى الحادثة الواحدة يتعدد ، أو إن المصيب فيها واحد والباقى مخطىء وإن حكم الله لا يتعدد ، وإن له فى كل حادثة حكما واحداً ، لأنه لا يترتب على هذا الخلاف إلا أنه على الرأى الثانى يكون للمصيب أجران وللمخطىء أجر واحد . والله سبحانه وتعالى هو الذى يعلم المصيب فى الواقع من المخطىء . وهو الذى يمنح بفضله الأجرين المصيب والأجر المخطىء .

من له حق الاجتهاد

ومن عرف دقة الأدلة ظهر له بوضوح تام أنه لا يستطيع استنباط هذه الأحكام أى واحد ، وإنما الذى يستطيعه هو المجتهد . وله شروط ضرورية مبينة فى أصول الفقه : منها أن يكون فقيه النفس ، عالماً بعلوم اللغة العربية وأصول الفقه ومتعلق الأحكام

مكتبتنا العربية

من الكتاب والسنة ، محيطاً بمعظم قواعد الشرع عارساً لها ، حتى يكتسب قوة يفهم بها مقصود الشارع ، خبيراً بمواقع الإجماع كى لا يخرقه ، واقفاً على الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وغير ذلك مما تنوء بحمله الجبال .

وهل يمكن وجود هذا المجتهد الآن أو لا يمكن ؟ وعندى أنه لو وجد لا تظهر له فائدة فى الأحكام التى استنبطها فعلا الأئمة المجتهدون إلا ترجيح بعض المذاهب ، لأنه لا بد أن يوافق أحد المجتهدين ، ولا يجوز له مخالفة الجميع فيما اتفقوا عليه ، وإلا عد خارقا للإجماع وهو لا يجوز . نعم ، تظهر له فائدة فى استنباط الأحكام فى الأمور المستحدثة التى لم ينظرها المجتهدون السابقون ولا أتباعهم ، لأنها لم تكن فى زمانهم ، وهذا من ضروريات الشريعة ، وفى ظنى أن هذا ليس بعسير ، لأن ما مهده الأئمة السالفون من الضوابط والقواعد يمكن العالم باللغة العربية المتبحر فى علم الفقه وأصوله المطلع على طريقة استنباط الأئمة السابقين أن يدرج هذه الأمور المستحدثة تحت ضابط أو قاعدة شرعية تشملها أو إلحاقها بنظائرها ، والشريعة لا تخلو عن ذلك .

من له حق الافتاء

ثم من مارس الفقه وأصوله اتضح له أن بيان الأحكام الشرعية التى دونت ، وإفتاء الناس بها ، ليس من حق كل أحد ، لأنه لا يستطيعه على وجهه الصحيح إلا من تلقى علوم الشريعة أصولا وفروعا ووسائلها باستيعاب ، وراجعها المرة بعد المرة بتدريس أو تعهد ، حتى أحاط بدقائقها وألم بظاهرها وخفيها ، ووقف على مداركها وأدلتها ، وإلا لم يأمن من الوقوع فى الزلل والإفتاء بالخطأ فيضل ويضل غيره ، وقد قال الله تعالى - وهو يذكر الشيطان - : « إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون » ، أى يأمركم الشيطان أن تقولوا هذا حلال وهذا حرام من غير علم ، وذكر سبحانه وتعالى « أن تقولوا على الله مالا تعلمون » بعد ذكر الفحشاء مع أنه من جملتها لأنه أعظم أنواعها ، فالتهجم على الفتوى أمر عظيم الخطورة .

وكان الواجب أن يصون القانون العام للدولة الشريعة الإسلامية ويحميها من عبث العابثين ، ويحدد من له حق بيان أحكامها ، كما صان صناعة الطب ، فإن الخطر على دين الأمة كالخطر على أبدانها .

مكتبتنا العربية

إذا علمت ما بيناه من أنواع الأحكام الشرعية وخصائص كل نوع علمت أن كل من أبدى حكما خلاف ما علم أنه من النوعين الأولين - وبخاصة النوع الأول ، وبالأخص إذا نشره ودعا الناس إليه - وجب على المسلمين على الأقل زجره وردعه حتى يتوب إلى الله ويرجع عن رأيه وتزول آثاره السيئة ويحصل الاطمئنان بأن لا يعود هو أو أمثاله إلى مثل هذا الرأى . ولا يجوز لمسلم أن يدافع عنه ويؤيده . أما النوع الثالث فقد وسع الله فيه على عباده ، فكل مكلف لم يصل إلى درجة الاجتهاد وجب عليه أن يتبع فى تلك الأحكام المختلف فيها من تطمئن إليه نفسه من الأئمة المجتهدين وليس لأحد الإنكار عليه فى هذا الاتباع .

الرد على المناصرين للشيخ بخيت

هذا - ويتعين علينا تفنيد حجج من ناصر الشيخ بخيت فى رأيه المعروف . أما قولهم : « لا كهنوتية فى الإسلام » فإن أرادوا بالكهنوتية وجود رؤساء دين يحللون ويحرمون ويؤثمون ويعاقبون أو يعفون ويغفرون بآرائهم وأهوائهم من غير استناد إلى الشريعة ، فهؤلاء لا يوجدون فى الإسلام قطعا . وإن أرادوا وجود علماء يعرفون الأحكام التى شرعها الله وهم مكلفون ببيانها للناس على الوجه الصحيح ورؤساء - هم أولياء أمور المسلمين - يحرسون الإسلام من عبث العابثين ويقيمون الحدود على المخالفين ويؤدبون المعتدين على الإسلام وأحكامه ، فهذا موجود ومشروع فى الإسلام ، وفقدهم وانقراضهم إيذان بقرب قيام الساعة .

وأما حرية الرأى والحجر على الأفكار فليس مما نحن فيه ، لأنى لا أظن أن أحدا يعقل أن تعدى الحدود المقررة شرعا أو قانونا يدخل فى نطاق حرية الرأى ، وأن زجر المعتدى وتبيين خطئه داخل فى نطاق الحجر على الأفكار ، وإلا لجاز أن يقول كل واحد ما شاء فيما شاء ، ولا شك أن هذه هى الفوضى بعينها .

وأما القول بأن الدين صلة بين العبد وربه فهو كلمة حق إلا أن هذه الصلة يجب أن تكون كما حددها الرب سبحانه وتعالى وبينها على لسان نبيه ﷺ ، أما الصلة بغير ذلك فليست صلة ، وإنما هى انقطاع وبعد عن الله تعالى وتمرد عليه وعصيان ، لأنه لم يمتثل أمره ونهيه فى تحديد تلك الصلة ، وذلك واضح . والله سبحانه وتعالى أعلم ؟

عيسى منون
عضو جماعة كبار العلماء ولجنة الفتوى
وشيخ كلية الشريعة سابقا

مكتبتنا العربية

تعليقات

— ١ —

براءة الأزهر ومعذرته الى المسلمين

وإخوان تخذتهمو دروعا فكانوها ولكن للأعادى
وأبناء تخذتهمو سهاما فكانوها ولكن فى فؤادى

* * *

١ — فى الوقت الذى يضاعف الأزهر فيه نشاطه فى دعوة الناس إلى ربهم .

وفى الوقت الذى يغمر المسلمين فيه شعور بالجذل لقيامهم بصوم رمضان ، وهم على شغف بالتوفيق فيما يتطلبه دينهم ، وعلى أمل فى القبول والرضوان من ربهم ، يخرج من صفوف الأزهريين إنسان استبد به شيطانه فغلب عليه النزق ، وغاب عنه الرشد ، ودعا الناس إلى التحلل من فريضة الصوم متى شعروا بشىء من الضيق أو الأذى ولو قليلا .

وأعلن فى الناس أن الصوم لم يفرض إلا على الشغوفين به الذين يؤدونه فى غير عنجر أو برم .

ودعا الناس إلى المجاهرة بالفطر زاعما إليهم أن المجاهرة بالفطر تعتبر شجاعة دين وقوة إيمان الخ .

والناس حينما يسمعون صيحة كهذه من أزهرى يزعم لهم كذبا أنه دكتور ، وأنه ارتقى إلى درجة أستاذ فى الكلية ، يساورهم القلق والريبة فيما كانوا مطمئنين إليه من عمل ، أو يساورهم الوجل أن يكون الأزهر — وهو منار هدايتهم — قد نكص عن رسالته الحقة ، أو انتابته لوثة خرافية ظهرت على لسان واحد ممن يعيشون فى ظلاله .

وكم يكون لهذا الاضطراب من أثر على الناس فى حياتهم الدينية إذا ظلوا يفهمون أن

مكتبتنا العربية

المتحدث به شخصية بين الازهريين ، وأنه يحمل لقب دكتور وأستاذ ، وأنه من أهل الفتوى فى العلم والدين ؟

٢ — ولكن الأمر فى حقيقته على غير هذا كله . . . إذ الأزهر يستقبل من الشباب أخلاطا تختلف بيئاتها ومشاربها ، فإذا ما درجوا فى ظلاله وأخذوا شيئا من تعاليمه ، بدأت تختلف نظراتهم إلى الحياة ، وتتباين وجهاتهم العلمية ، ولا يمكن أن تظل هذه الأخلاط فى وضع متحد ، ولون واحد ، وهم كالزرع يسقى بماء واحد ، ولكن الله يفضل بعضه على بعض فى الأكل .

والثقافة الدينية كالدواء تعالج به النفوس ، ولكنه قد ينجع ويصلح فى جسم ، ولا يصلح فى جسم آخر ، وإن كانت العلة واحدة .

والأزهر لا يجهل أن فى أحضانه أناسا يحسبون عليه ، وهو لا يعتد بهم من أبنائه الأوفياء بعهده ولا من رجاله الأمناء على رسالته ، ولكنه لا يتمكن من نبذ هؤلاء الشواذ خارج حظيرته ، لاحتمائهم بالقانون بعد أن أصبحوا فى عداد موظفيه . فهو يتأذى منهم ولكنه يصبر عليهم ويصابرهم حتى تحين فرصة تمكن له أن يلفظهم بعيدا عنه ، ويبرأ منهم إلى الله ، وإلى المسلمين .

وحديث الناس فى الفترة التى تمر بنا الآن يتناول الشيخ عبد الحميد بخيت مدرس التاريخ فى كلية أصول الدين .

وقد فعل هذا المدرس فعلته فيما دعا الناس إليه غير مكترث بدين ، ولا قانون .

فلما طلبت إليه مشيخة الأزهر أن يدلى بوجهة نظره فيما نشره من أحكام خاطئة ضال بها كثيراً من الصائمين ، امتنع عن التحدث إلى اللجنة العلمية التى شكلت للبحث معه زاعما أن القوانين لا تقف فى سبيل الرأى ، ولو كان كرأيه مروقا من الدين وفتنة للناس .

والناس بحاجة إلى العلم بشىء عن هذا الشيخ ليتبينوا ضآلة شخصه وفساد رأيه . وهو إنسان بخلت عليه الأقدار بكثير من مميزات الإنسان ، ثم هو متوسط الثقافة فى التاريخ فحسب دون الفقه أو سواه ، وهو مع ذلك مأخوذ بحب الظهور ، ومفتون بأن يقال عنه فلان ... فلما وجد نفسه غير ذى شأن بين المثقفين دفع بنفسه إلى موقف الإفتاء فى الدين مصيباً كان أو مخطئاً ، وهو على أى حال سيظفر بأن يقال أفتى فلان : محقا كان أو مبطلا .

وربما كان الخطأ أحب إلى نفسه ليثير استياء الناس منه ، وكثرة حديثهم عنه ، وقد فعل .

مكتبتنا العربية

كما أنه فى سبيل ظهوره لا يكفيه أن يكون شيخا محسوبا من علماء الأزهر ، بل يخلع على نفسه ألقابا وهمية ، ليوهم الناس بأنه ذو مكانة فى العلم ، وليأخذوا عنه غير متشككين .

هذا هو الشيخ عبد الحميد بخيت الذى أثار زوبعة حول نفسه منذ وقف من دينه موقف المعتدى ، ووقف من الناس موقف الفاتن المضلل ، والذى دفع بالأزهر اليوم أن يقف من المسلمين موقف الاعتذار عن ورطة ليس للأزهر فيها جناية .

وهناك شخص آخر نشأ فى الأزهر ويعيش اليوم بعيداً عنه ، وقد كان ذلك الآخر على شيء من التقوى أول أمره ، ولكن الرغبة فى وفرة الاموال ، وبسطة العيش ، دفعت بهذا الأزهرى الآخر إلى الانحراف ، ثم إلى مهاجمة الأزهر ، ثم إلى الانتقاض على أحكام الدين ، ودعوة الناس إلى الإباحية فى غير تريث ولا اقتصاد .

ومن كان يظن أن أزهريا خطابيا سفياً ذا لحية وذا عمامة مرخاة على كتفيه يطعن على الأزهر فى كل ما تعلمه هو ، ويطعن على الأزهر كله حتى فى أرضه وحوائطه وسقفه ثم يتدرج فى انحرافه حتى يقوم بالدعوة إلى الرقص وإلى الحب الماجن ؟!! .

بل إلى الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء وإلى ما هو أفحش من ذلك فى باب التحلل من أحكام الله جملة وتفصيلا ، وتبين من أمره أنه كان يعبد الله على حرف فلما أصابته الفتنة انقلب على وجهه ، وهذه ضلالات أصبحت تذاع وتفشى بيننا فى غير حرج ولا حياء ، بل هناك مجلات معروفة وقفت جهودها وتصبت نفسها لاجتذاب الشباب إلى ناحية الخلاعة والمجون الوضيع والتنصل من كل نزعة كريمة .

وبعض الناس يظنون أن الأزهر مقصر فى هذا كله . ولكن الأزهر لا يملك سلطة يهيمن بها على أنصار الفتنة ودعاة الرذيلة من كتاب ومجلات وصحافة غمرتها أموال الهيئات المعادية للإسلام بالذات . وللأزهر وعلمائه بالسع . ورسالة الأزهر فى دعوته محتاجة إلى سلطان قاهر ، وشكيمة قوية تكبح هذا الاسترسال فى الفساد الجهرى فى الدين والخلق والآداب العامة .

وإذا كان فى الناس من يأسى على انحراف أفراد من الأزهريين كالشيخ بخيت والشيخ خالد ، فمعذرة الأزهر إلى هؤلاء الذين يخدعون أنفسهم غيرة وأسفا أنه غير متمكن تماما من الوقوف فى وجه المشجعين والآخذ برقابهم .

مكتبتنا العربية

وليذكر الناس أن انحراف أزهرى عن أزهريته، وفتنة أزهرى فى دينه، مثل من الأمثلة الحية فى باب العبرة بمن يضله الله على علم. وقديما كان إبليس يعيش مع الملائكة. ثم فسق عن أمر ربه. فكان فتنة لنفسه وللغاوين من الناس. ولله فى خلقه شئون.

— ٢ —

من أمثلة الخير

طبيب معهد المنصورة، الدكتور السيد محمد عبده الجيار، من أسرة عريقة بالمنصورة سوى أسرة الجيار المشهورة بالمطرية دقهلية التى منها الدكتور حلمى الجيار. ولأسرة الدكتور محمد عبده الذى نتحدث عنه مصاهرة وروابط قوية بأسرة الشناوى المشهود لها فى المنصورة بكثير من المروءات والمحامد، وفى مقدمتها بناء المعهد الدينى الذى لهم فى إقامته أكبر نصيب من الفضل، والذى نافست به المنصورة جميع المؤسسات العلمية التى أقيمت فى العواصم المصرية أخيراً.

ويبدو أن الروابط التى جمعت بين أسرة الجيار هذه وأسرة الشناوى ليست مجرد المواطنة فى بلد واحد، ولا مجرد التشابه فى اليسار المالى، فكثيراً ما نرى أسراً متباغضة لتزاحمها على السيادة فى بلد واحد، أو للتنافس بينها فى اليسار.

ولكن الرابطة التى جمعت بين الأسرتين وعقدت بينهما النسب والمصاهرة هى اتحاد المشرب، واتجاه كل من الأسرتين إلى الخير والمروءات.

والحديث النبوى يقول: «الأرواح جنود مجندة: ما تعارف منها ائتلف، وما تنافر منها اختلف».

وهاتان الأسرتان تعارفتا على الخير، وفى سبيل الخير. ومما سمعته عرضا فى زيارتى لمعهد المنصورة عن والد الدكتور محمد عبده الجيار أن له يداً سابقة فى كثير من المبرات الخالدة، وأن له أرصاداً على جهات باقية، ويقوم عليها أبناؤه وهم الدكتور وإخوته.

من تلك المبرات أنه تقدم إلى وزارة الأوقاف قبل وفاته بأربعة آلاف جنيه لإقامة مسجد بالمنصورة فى حى فقير من المساجد. وقد تريثت الوزارة فى التنفيذ لسبب ما. وبعد ذلك نشط الدكتور محمد إلى تنفيذ ما كان والده حريصاً على تنفيذه، وقد استجابت وزارة الأوقاف لدعوته وآزرته مؤازرة مشكورة، وهاهو ذا المسجد يشاد اليوم على أحسن ما يرجو المصلحون.

مكتبتنا العربية

هذه إحدى الذكريات الطيبات للمرحوم الحاج عبده الجبار ، وقد ورث عنه أبناؤه هذه النزعة وزادوا عليها .

ويتضح ذلك فيما يبذله الدكتور الشاب من مروءات أدبية مع أسر العلماء ومع الطلاب ، ومع سواهم من فقراء المنصورة ، فهو كطبيب يقدم للإنسانية خدمات مشكورة فى معاملة هؤلاء عن طيب خاطر ، وتمام رضا وتعفف ، كما يعامل الإنسانية كثيراً على حساب ماليته الخاصة .

وقد حضرت له موقفاً كريماً يشهد بصدق ما سمعته بعد انصرافه عنا ، وهو أنه أحس بحاجة المعهد إلى أجهزة تليفونية تصل بين أجنحة المعهد المترامية ، وتمكن لشيخ المعهد أن يتصل بكل ناحية فيه حيث يكون جالساً أو مشغولا .

والدكتور يعلم أن الروتين الحكومى قد لا يطاوع الرغبة ، أو لا ينجز هذه الحاجة مع ضرورتها لمصلحة العلم والدراسة والنظام بالمعهد ، فلم يسعه إزاء هذا إلا أن يتقدم إلى المعهد بما يحتاجه على حسابه الخاص كهدية يجامل بها العلم ، ويتقرب بها إلى الله .

ومثل آخر : أن السيدة شقيقة الدكتور وحرم السيد محمود الشناوى كانت فى العام الماضى بمصيفها برأس البر ، وفى يوم جمعة لحظت أن بعض الحريصين على صلاة الجمعة لم تسعفهم المواصلات لإدراك الصلاة فى مكانها البعيد عن مجتمع المصطافين . فأثار استياؤها لذلك شعورا كريما لديها ، وحفزها على القيام لفورها بالشروع فى بناء مسجد لائق بالطبقات الكريمة التى تقصد إلى هذا المصيف .

وكم تردد على هذه الجهة من شخصيات ومن أسر ، ولكن شعور الخير لم يبلغ من أحدهم ما بلغه من السيدة أخت الدكتور وعقيلة السيد محمود الشناوى . ولئن كان هذا عملا جزيلا فليس كثيرا على سيدة من بيوتات المجد والمروءة والتقوى ، وجزاؤها على هذا ونحوه عند من لا يضيع أجر من أحسن عملا .

ولعلها تكون قدوة لرجال ونساء ينفقون أموالهم وحيانهم وجهودهم فى غير هذا السبيل ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

الكتب

تفسير الطبرى

الجزء الثانى بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر — ٦١٥ ص — دار المعارف بمصر

قدمنا قبل شهرين بالتعريف بالجزء الأول من هذا الكتاب النفيس الذى يعد فى الذروة العليا من تراث الاسلام . وقد ابتهجنا بعد ذلك بالنشاط المحمود فى طبع الكتاب عندما وصل إلينا الجزء الثانى منه ، وفيه من مظاهر العناية والتحقيق والخدمة العلمية الممتازة كل ما وصفنا به الجزء الأول . قال الأستاذ محمود شاكر : وقد فاتنى أن أذكر فى مقدمة الجزء الأول أنى وضعت على هامش هذه الطبعة من التفسير ما يقابلها من مطبوعة بولاق . فأثبت الجزء والصفحة معاً لطول ما تداول الناس مطبوعة بولاق ، ولكثرة الإشارة إليها فى الكتب . وحرصت أيضا كل الحرص على أن أثبت فى التعليق كل ما أحال عليه الطبرى من سالف كلامه حتى يسهل على الباحث والقارىء أن يتابع ما قاله أبو جعفر . فلا يسقط عليه شىء من معانيه . فإن الكتاب يطول ، وأبو جعفر يختصر ، والإحالة تكثر ، ومن الصعب أن يستدل قارىء كتابه على المواضع التى يحيل عليها .

وفى هذا الجزء الثانى من جامع البيان تفسير الجزء الثانى من كتاب الله أى من الآية ٤٣ من سورة البقرة إلى الآية ١٢٣ . وفيه - من الآثار التى أشرف العلامة الشيخ أحمد شاكر على النظر فى أسانيدها وتكلم عن بعض رجالها حيث يتطلب التحقيق ذلك — من الأثر رقم ٤٨٠ إلى الأثر رقم ٩٠٦ ، مع تخريج جميع أحاديث رسول الله ﷺ على ما شرط على نفسه فى الجزء الأول .

وازدان آخر هذا الجزء بمثل ما ازدان به سابقه من الفهارس التى هى كالدليل والترجمان لمدينة العلم ، وإن فهرس مباحث العربية والنحو يساوى وحده كتابا فى بابه لا يعدله غيره . والحق أن تفسير الطبرى بعث بالحياة بعثاً جديداً لم يرزق مثله لا فى عصور الكتابة والنسخ ولا بعد أن نعمنا بنعمة الطباعة ، فليس لنا إلا الدعاء بأن يتم الله بتمامه .

مكتبتنا العربية

الأعلام الشرقية فى المائة الرابعة عشرة الهجرية

للسيد محمد زكى مجاهد - ٣ أجزاء - ٥٥٠ ص - دار الطباعة المصرية ومطبعة حجازى بمصر

كان فى المكتبة العربية فراغ لكتاب يحتاج اليه الناس فى معرفة الخطوط الرئيسية لحياة الذين توفاهم الله فى هذا القرن الرابع عشر الهجرى من أعلام العرب والشرقيين المعاصرين ، فانصرف مؤلف هذا الكتاب لملء هذا الفراغ بمراقبة الصحف والمجلات والكتب التى ترجمت لكل من انتقل إلى الدار الآخرة بين سنتى ١٣٠١ و١٣٦٥هـ ، وتحدثت عن حياتهم ، فلخص ذلك وجمعه فى كتاب قسمه ١٦ قسما تستوعبها خمسة أجزاء صدر منها حتى الآن ثلاثة : فى الجزء الأول القسم الأول وهم الذين توفوا خلال هذه المدة من الملوك والأمراء وعددهم ٦٠ ، والقسم الثانى وهم المتوفون فيها من الوزراء والسفراء وعددهم ١١٧ ، والقسم الثالث لزعماء الحركة القومية وعددهم ٣٨ . وهذا الجزء الأول فى ١٩٠ صفحة .

وفى الجزء الثانى تراجم القسم الرابع وهم أعلام الجيش والبحرية ، وعددهم ١١٨ ، والقسم الخامس وهم علماء الإسلام فى مصر والأقطار العربية الشقيقة والإسلامية وعددهم ١٨٣ . وعدد صفحات هذا الجزء ١٩٨ .

وفى الجزء الثالث القسم السادس للقضاة والمحامين ويحتوى على ١٤٦ ترجمة ، يليه القسم السابع لتراجم المنتسبين إلى الطرق الصوفية وعددهم ٥٤ ، فالقسم الثامن لوفيات المشهورين من أبناء النحل غير الإسلامية وعددهم ٥٨ . وهذا الجزء فى ١٦٧ صفحة .

وبقى لتمام الكتاب جزءان سيتضمنان تراجم من مات فى هذه المدة من الأدباء والمؤرخين ، ورجال الصحافة ، والأطباء ، ورجال المال والأعمال ، وشهيرات النساء .

والتزم المؤلف أن لايكون له رأى أو ملاحظة فى التراجم التى يثبتها ، بل ينقل الخطوط الرئيسية من حياة كل من ترجم له ، ويختم الترجمة بذكر المصدر الذى أخذها عنه .

وكنا نتمنى لو عنى بالتصحيح المطبعى أو وكله إلى من يجيده من خارج المطبعة ، فقد وقع فى الكتاب ولا سيما فى جزئه الثالث من التحريف ما كان يحسن أن ينزه عنه .

مكتبتنا العربية

رحلة إلى السودان

للأستاذ محمد شاهين حمزة - ٢٣١ ص - مطبعة الرغائب

ذهب النائب السابق الأستاذ محمد شاهين حمزة - صاحب مجلة الرابطة الإسلامية - إلى السودان فى العام الماضى ليقوم بدراسة استعراضية لهذا القطر الشقيق باعتبار أنه الوطن الثانى للمصرى ، بل باعتبار أن المصريين سودانيون بيض وأن السودانيين مصريون سمر ، وكتب فى ذلك كتاب رحلة أطلق فيه القلم لكل ما لاحظه فى تلك الديار من قديمها إلى حديثها ، ومما لاحظه أن المصرى يحب السودانى وكفى ، لكن حب السودانى المصرى لا يقف عند حد الحب ، إنه يعنى بمصر ويلم بمختلف شئونها إلماماً واسعاً ، ويتغلغل فيها تغلغل صاحب الشأن الاول . واخترنا من الكتاب هذه الملاحظة ، لاننا نرى هذا الكتاب وأمثاله إذا ازداد انتشاراً فى مصر يزيد فى معلومات القراء عن السودان ، فيكون ذلك علاجاً لهذه الناحية من الضعف التى كثر التحدث عنها فى البلاد الشقيقة ، فما من قطر عربى أو إسلامى إلا ويعرف شبابه عن مصر ما لا يعرف مثله فى مصر عن تلك الاقطار . فهذه الرحلة إلى السودان تسد بعض هذا الفراغ وتجعل محبة المصرى للسودان غير مقصورة على الحب وكفى ، بل تتعداها إلى مثل محبة السودانى لمصر بما ينشأ عنها من عناية وإلمام بأحوال القطر الشقيق وروابط أهل شمال النيل بأهل جنوبه ، فيزداد التعاون بين البلدين فى المصالح المشتركة والاهداف المتحدة .

السجل الثقافى - لسنة ١٩٥٢

أهدت إلينا إدارة التسجيل الثقافى بوزارة التربية والتعليم نشرتها الخامسة لسنة ١٩٥٢ عن حركة الثقافة فى مصر ممثلة فيما يصدر عن المطابع ودور النشر من الكتب المؤلفة والمترجمة وكتب السلاسل ، وفى الرسائل الجامعية ، ودور الكتب العامة ومكتبات الهيئات الحكومية والهيئات الحرة ، وفى الصحف والمجلات ، والبحوث والمحاضرات والإذاعة ، والهيئات الثقافية والعلمية والفنية ، والمؤتمرات ، والتعاون الثقافى ، والمهرجانات والمسابقات ، والمتاحف والحفائر والمعارض ، وأخيراً فى المسرح والسينما .

وقد جاء هذا المجلد الخامس من السجل الثقافى فى قريب من ٧٠٠ صفحة من القطع الكامل .

مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم

الدارسون الاجتماعيون في الأزهر

أعدت الإدارة العامة للأزهر البرامج الخاصة بالدارسين الاجتماعيين الذين ألحقوا بمعهد الدراسات الاجتماعية خلال هذا العام من طلبة الأقسام العالية بالكليات الأزهرية للانتفاع بخبرتهم الدينية والاجتماعية في الهيئات الريفية خلال إجازة الصيف .

وقد روعي في اختيار هؤلاء الدارسين التمكن من العلوم الدينية مع تلقي دراسات اجتماعية على طائفة من الاخصائيين طوال العام ، وذلك لإمكان حل مشكلات الأهالي في الريف ، وتوجيه الناس إلى الصالح العام على ضوء التطبيق العملي للدين .

مكتبة المسجد

كانت المساجد الإسلامية إلى عهد قريب جداً تؤدي مهمات ثلاثاً : فهي مسجد للعبادة ، ومدرسة للدروس العلمية للكبار ليلا إن لم تكن للصغار أيضاً نهارا ، ومكتبة .

وقد أرادت وزارة الأوقاف أن تجدد نشاط المساجد في المطالعة فعزمت على إنشاء مكتبة في كل مسجد تحوي عدداً من الكتب الإسلامية والثقافية والاجتماعية التي تيسر المعرفة للشباب في الريف خلال فترة الصيف وتكون مرجعاً للمسائل الدينية المهمة ، وقد اعتمدت الوزارة لتنفيذ هذا المشروع خمسة آلاف جنيه مبدئيا .

مكتبتان مصريتان

في طرابلس الغرب وبنغازي

قررت وزارة التربية والتعليم المصرية توثيق روابط العروبة والإسلام بين مصر وليبيا بإقامة مكتبتين مصريتين إحداهما في مدينة طرابلس الغرب ، والأخرى في مدينة بنغازي ، ورصدت لذلك اعتماداً بمبلغ خمسة عشر ألف جنيه ، وأوفدت مدير المكتبات المدرسية في الوزارة إلى ليبيا ، فقام بمعاينة المكتبتين ووضع التصميم الداخلي والخارجي لهما ، وينتظر أن يتم افتتاحهما خلال هذا الصيف ، وستكون فيهما - مبدئيا - أربعون ألف كتاب .

مكتبتنا العربية

المكتبات المدرسية

أدرجت وزارة التربية والتعليم فى مشروع ميزانيتها الجديدة تسعين ألف جنيه للمكتبات المدرسية حتى تتمكن من البدء فى تزويدها بما تحتاج إليه من أثاث وكتب .

واقترحت اللجنة التى بحثت موضوع المكتبات المدرسية تنظيم مسابقة لتأليف كتاب عن المكتبة . كما اقترحت أن يؤخذ النشاط المكتبى فى الاعتبار عند التفتيش على المدارس .

وينتظر أن يحصل رسم للمكتبات المدرسية ابتداء من العام الدراسى المقبل .

العربية فى مدارس السودان

كان من خطط الاستعمار فرض اللغة الانجليزية على مدارس السودان فى تعليم العلوم ، ولما تولت الأيدى السودانية مباشرة الإدارة فى القطر الشقيق أوصت لجنة دولية بأن يكون تدريس العلوم فى المدارس السودانية بلغة البلاد (العربية) ، وقد تألفت فى وزارة المعارف السودانية لجنة لبحث هذا الأمر ، وستنظر اللجنة فيما إذا كان من الأصلح تأليف كتب جديدة باللغة العربية للمدارس الثانوية أو الاكتفاء بالكتب التى تدرس فى البلاد العربية .

جغرافية السماء

تمكن علماء الفلك فى كليفورنيا من الاستعانة بآلات التصوير التلسكوبية فى تصوير السماء وما فيها من كواكب ونجوم فالتقطوا حوالى ١٢٤٦ صورة حجم كل منها ١٧ × ١٧ بوصة ثم جمعوا تلك الصور جنباً إلى جنب وكونوا منها أول خريطة جغرافية دقيقة للسماء . وقد أمكن الآن تصوير شهب وكواكب بآلات التصوير التلسكوبية يقدر علماء الفلك أنها تبعد عن الأرض مائتى مليون سنة ضوئية . وقد بدأ التقاط هذه الصور من سنة ١٩٤٧ من الرصد القائم فوق قمة جبل هاملتون ، وستستمر الأبحاث نحو ٣٠ أو ٤٠ سنة أخرى ، وينتظر أن يصبح فى الامكان وضع أول خريطة جغرافية كاملة للسماء فى نطاق ما تسمح به آلات التصوير التلسكوبية فى مستواها الحاضر .

معلمة

لا « موسوعة »

« الانسكلوبيديا » عنوان باللغات الافرنجية المرجع العلمى العام إما فى جميع العلوم أو فى نوع منها ترتب المواد فيه على حروف الهجاء كالمعاجم . وأول من ألف فيه بالعربية حديثا آل البستانى فترجموا هذا اللفظ بعنوان

مكتبتنا العربية

« دائرة المعارف » وتبعهم فى ذلك الأستاذ فريد وجدى ، وكذلك فعلت اللجنة الجامعية التى تترجم كتاب المستشرقين فى الأعلام والمذاهب والشئون الإسلامية فسموه « دائرة المعارف الإسلامية » .

وللعلامة طاشكبرى زاده كتاب من هذا القبيل فى مختلف العلوم سماه (موضوعات العلوم) ، ولما كانت إحدى مكتبات القسطنطينية تدون فهرسا لمحتوياتها أملى أحد موظفيها اسم هذا الكتاب على أحد الكتبة بلفظ (موظوعات العلوم) لأن الأعاجم يلفظون الضاد بقريب من لفظ الظاء ، فسمع الكاتب الظاء سينا فكتب اسم الكتاب (موسوعات العلوم) وسمع الشيخ إبراهيم اليازجى صاحب مجلة الضياء باسم هذا الكتاب وموضوعه فخيل إليه أن كلمة « موسوعات » تؤدى معنى « دائرة المعارف » فأعلن ذلك فى مجلته ، وأخذ به أحمد زكى باشا وغيره ، فشاعت كلمة « موسوعة » و « موسوعات » لهذا النوع من الكتب ، وهى تسمية مبنية على الخطأ كما رأيت .

وكان العلامة أحمد تيمور باشا والأب أنستاس الكرملى وغيرهما يرون تسمية دائرة المعارف باسم « مَعْلَمة » لأنه أصح وأرشق وأدل على المراد منه ، وحبذا لو اصطلحت دور الكتب فى فهارسها ومكاتباتها الرسمية على استعمال هذا اللفظ ، بل ان قسم دوائر المعارف فى المكتبة التيمورية أخذ فيه بهذه التسمية « قسم المعالم » على وزن « المعاجم » فأى ما نع يمنع من تعميم ذلك وإشاعته ؟ .

معلمة زراعية

اقترح معهد البحوث القومى على مجلس الإنتاج القومى منح جمعية خريجى المعاهد الزراعية مبلغ خمسة آلاف جنيه لوضع معلمة (دائرة معارف) زراعية لتكون مرجعاً فى كل شأن من شئون الزراعة فى علومها ومادتها وأدواتها .

وحبذا لو تيسرت أسباب تأليف معلمة فقهية ، ومعلمة طبية ، ومعلمة هندسية . الخ فإن ذلك يكون توطئة وتمهيداً لتأليف المعلمة العربية الكبرى فى جميع العلوم ، وهى الأمنية التى تأخرنا فى تحقيقها ، ولا سبيل إلى إتقانها إلا إذا تقدمتها أمثال هذه المعالم فى مختلف فروع المعارف العربية والإسلامية والإنسانية .

مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

لو تجددت حرب فلسطين

حضر إلى مصر الجنرال بيرنز كبير المراقبين الدوليين فى فلسطين ، واجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر ليقول له ، إن الحالة فى غزة أصبحت خطيرة ، ويخشى أن يقوم اليهود بمحاولة للاستيلاء على القطاع ، ا فرد عليه الرئيس بقوله :

« أحب أن تعرف موقفى من الآن . إن هذا إذا حدث فإن معناه الحرب . وإذا بدأت الحرب فى هذه المرة لن تكون كحرب سنه ١٩٤٨ ، لأنى فى هذه المرة لن أقف مكتوف اليدين ، ولن تستطيع أية قوة أن تحد من حريتى فى التصرف ، ولن أسمح لجيش مصر بأن يقع فى أحابيل قرارات هدنة أو وقف قتال تصدر من نيويورك وتطاع من ناحية واحدة فقط .

صندوق بارود فى غزة

تحتفل الأمم المتحدة بعد بضعة أيام بالذكرى العاشرة لإنشائها فتعقد لذلك اجتماعات مهمة فى مدينة سان فرانسيسكو وقد وجه الرئيس جمال عبد الناصر - عن طريق وليم راندلف هيرست - الصحفى والناشر الأمريكى - نداء إلى هيئة الأمم بشكل حديث قال فيه : إن الحالة فى قطاع غزة أشبه بصندوق البارود ، وقد ينفجر هذا الصندوق فى أى وقت ، فتنتشر منه حرب عامة بين العالم العربى وإسرائيل . والطريقة الوحيدة لتجنب أى اشتباك قد يؤدى إلى اندلاع نيران الحرب فى الشرق الأوسط هى أن تقبل إسرائيل بسرعة الاقتراح المصرى الخاص بإنشاء منطقة منزوعة السلاح على جانبى خط الهدنة . إن حوادث الحدود يتكرر وقوعها يومياً تقريبا منذ أن وقع حادث غزة فى أواخر فبراير الماضى . ولقد سبق أن أنذرت إسرائيل بأن أى هجوم منها مثل ذلك الهجوم سيكون معناه نشوب الحرب . فالحالة حرجة للغاية وخطيرة .

الجلاء عن مصر

فى مرحلته الثالثة

انتهت فى الأيام الأخيرة المرحلة الثانية من المراحل الخمس لجلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس تنفيذاً لاتفاقية الجلاء ، وقد جلا حتى الآن ٣٤٥٠٠ جندى بريطانى بزيادة قدرها ٤٠٠٠ عن النسبة المقررة فى الاتفاقية . وفى مثل هذه الأيام

مكتبتنا العربية

من العام القادم يكون قد تم الجلاء إن شاء الله بمراحله الخمس فلا يبقى على الأرض المصرية جندى واحد من جنود الاحتلال الذى قضت عليه اتفاقية الجلاء

نظام الحكم

خطب الرئيس جمال عبد الناصر فى مأدبة الإفطار التى أقامها ضباط القوات المصرية المسلحة لتكريمه فى نادى الضباط بالزمالك ، وقد اشترك فى الإصغاء إلى هذه الخطبة نحو ثلاثة آلاف ضابط ، وقد أعلن فيها الأهداف الستة التى قامت الثورة لتحقيقها . وهى :

١ ـ القضاء على الاستعمار وأعوانه .

٢ ـ القضاء على الاقطاع .

٣ ـ القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .

٤ ـ إقامة عدالة اجتماعية شاملة .

٥ ـ إنشاء جيش وطنى قوى .

٦ ـ إقامة حياة ديمقراطية سليمة .

وأعلن أنه فى بداية العام القادم (١٩٥٦) سيقوم فى مصر برلمان شعبى قوى يعمل للوطن والأغلبية ، ولا يعمل لرأس المال أو الاقطاع أو تحت ضغط أية قوة خارجية ، شرقية كانت أو غربية .

وأطلقت حرية القول والنشر فى الصحف فى موضوع نظام الحكم ليبدى أهل الرأى آراءهم فى ذلك كما يشاءون . وصدر أمر عسكرى برفع الرقابة على الصحف فى هذا الموضوع بالذات .

الرقابة على الصحف

أصدر الرئيس جمال عبد الناصر أمراً عسكرياً بإضافة فقرة جديدة إلى الأمر رقم ٣٩ المعدل بالأمرين ٥٢ و ٩١ بشأن الرقابة وهذا نصه : « لا يجوز أن تفرض الرقابة طبقاً للفقرة السابقة على أية صحيفة بالنسبة لكل ما يتعلق بنظام الحكم بعد قرار الانتقال » .

توزيع مياه النيل

أنهى الدكتور [illegible] وزير السودان ومصر رحلاته الأيام الأخيرة من رمضان فى مصر ، وجرت مباحثات مصرية ـ سودانية لتوزيع مياه النيل ، وقد تم الاتفاق بين مصر والسودان حول الأسس التى سيتم بها توزيع مياه النيل بين البلدين . وقال الصاغ صلاح سالم : إن ذلك الاتفاق يعتبر مرضيا للطرفين ، وإن الأرقام والتفصيلات الفنية قد تركت لتكون موضع دراسة الفنيين فى اجتماع يعقد فى الخرطوم . وإن هذه المباحثات قد أزالت الغيوم التى تلبدت فى جو العلاقات المصرية السودانية فى الأشهر القليلة الماضية .

مكتبتنا العربية

موظفو الحكومة المصرية

يقدر عدد موظفى الحكومة المصرية الآن بأربعمائة ألف موظف تقريبا . وهم يتقاضون سنوياً مايقرب من ٩٨ مليون جنيه ، ويعنى ديوان الموظفين - بالاشتراك مع مصلحة الإحصاء والتعداد - بإخراج أول إحصائية دقيقة عن عدد موظفى الحكومة المصرية ومستخدميها وعمالها ، وينتظر أن يتم ذلك بين أكتوبر ونوفمبر من هذه السنة .

منجم نحاس فى سيناء

أسفرت أعمال الكشف عن الثروات المعدنية فى شبه جزيرة سيناء عن اكتشاف منجم للنحاس بمنطقة الرقيطة . وتمتد عروق النحاس فى هذا المنجم من منطقة خليج السويس إلى خليج العقبة . وقد سبق لقدماء المصريين أن عملوا فى أجزاء من هذا المنجم الضخم ، وسيقوم بعض الخبراء الفنيين فى مصلحة المناجم والمحاجر - مع بعض خبراء النقطة الرابعة - بأبحاث جيولوجية لمعرفة القيمة الاقتصادية لهذا المنجم .

جهاد الجزائر

بدأت الدوائر المسئولة فى فرنسا تستعد لحرب طويلة الأمد فى شمال إفريقية كالحرب التى استمرت سبع سنوات فى الهند الصينية وانتهت بكارثة (دين بين فو) . وتلاحظ هذه الدوائر أن الحرب فى الهند الصينية بدأت بنفس الطريقة التى تدور بها المعارك فى الجزائر والمغرب الأقصى ، وهذا مما دعا رئيس وزراء فرنسا إلى المبادرة بإرسال أكبر عدد ممكن من القوات الفرنسية إلى الجزائر للقضاء - بزعمه - على حركة الجهاد فى أقرب وقت . وقد أعلن وزير الداخلية الفرنسى أن عدد القوات التى ترابط الآن فى الجزائر يبلغ ١٤٠ ألف جندى بكامل معداتهم ، هذا غير عشرة الآلاف من الاحتياطى الذين يقيمون فى الجزائر وقد استدعتهم الحكومة إلى حمل السلاح فورا ، ومن ناحية أخرى بدأت وزارة الدفاع الفرنسية بسحب ٥٠ ألف جندى من قواتها التى ترابط فى الهند الصينية ، وتسحب منهم فرنسا عشرة آلاف جندى فى كل أسبوع وتوجههم فوراً إلى الجزائر وتتم هذه العملية فى سرية تامة .

الحكم الذاتى لتونس

تم فى باريس التوقيع بالأحرف الأولى على الاتفاق الجديد بين فرنسا وتونس ، وهو يكفل لتونس الحكم الذاتى بواسطة جمعية وطنية ، على أن تبقى شئون الدفاع والخارجية فيها بيد فرنسا ، كما تقرر أن العربية وحدها هى اللغة الرسمية لتونس ، وأن تضم المجالس البلدية أعضاء فرنسيين بموافقة الباى

مكتبتنا العربية

وينقل اختصاص المحاكم الفرنسية إلى المحاكم الوطنية فى مدى عشرين عاما تتولى الفصل خلالها فى القضايا التى بين فرنسيين وتونسيين محاكم مختلطة ، وتتولى الحكومة التونسية الإشراف على البوليس إلا فى المدن الكبرى ومناطق الحدود وقاعدة بنزرت البحرية ومدينة فيرفيل .

الانجليز فى عمان

زحفت القوات البريطانية فى مسقط على منطقة الفهود فى طرف إمامة الاباضيين فى عمان وركزوا فيها أعلامهم ونشروا فيها خبراءهم للبحث عن البترول بدعوى أن السلطان تيمور سلطان مسقط السابق منح إحدى الشركات الانجليزية امتيازا بالتنقيب عن البترول والغاز الطبيعى وغيرهما من المنتجات . ومع أن سلطان مسقط لا يملك منح امتيازات فى منطقة عمان فإن الامتياز المزعوم محدد بمدة انتهت . فلا حجة للانجليز فى عملهم إلا حجة القوة ومنطق الاستعمار .

الاعتداء على العرب فى أوطانهم

وضربهم بالقنابل عمل إنسانى !

قال اللورد لويد وكيل وزارة المستعمرات البريطانية فى تصريح ألقاه فى مجلس اللوردات: إن الغارة التى قامت بها قاذفات القنابل البريطانية فى الشهر الماضى على بعض القرى فى إحدى سلطنات غرب عدن دمرت قرية وخمس مجموعات من الأكواخ وقلعتين انتقاما منهم لأنهم رفضوا دفع الغرامة التى قضى عليهم بها حاكم عدن . قال : وإن هذه أنجع وسيلة وأكثرها (إنسانية) لمعاقبة سكان القرى الذين يرفضون دفع الغرامات المشتركة وإن هذه العقوبة تطبق على محمية عدن منذ سنين عديدة .

ولا ندرى لماذا يسمون منطقة عدن (محمية) إذا كانت غير محمية من بغى المتمدنين الذين يتبجحون بهذا الإجرام حتى فى مجلس لوردانهم .

ويقول وكيل وزارة المستعمرات إن أهالى القرى التى بغى عليها أهل البغى بقاذفات قنابلهم كانوا قد انسحبوا من بيوتهم لما جاءهم النذير بهذا العدوان فاقتصر العدوان على خراب بيوتهم ، وسلمت أجسادهم ، كما يدعى وكيل وزارة المستعمرات .

حجاج مصر

بلغ عدد الذين سددوا رسوم الحج من الحجاج المصريين بالبواخر ٣١٥٤٧ حاجا وبالطائرات ١٠٢٧ حاجا ، بزيادة ١٢٠٧٤ حاجا عن العام الماضى .

مكتبتنا العربية

التوسع الزراعى

فى المملكة العربية السعودية

تعتمد الزراعة فى المملكة السعودية على آلات الرى وعلى الآبار الارتوازية ، وقد بلغ عدد ما استوردته واستعملته إلى الآن من آلات الرى نحو عشرة آلاف آلة . ويوجد لدى الحكومة فى الوقت الحاضر ١٦ آلة لحفر الآبار الارتوازية وستستورد ست آلات أخرى من النوع الكبير ، وقامت خلال ١٤ شهراً بحفر ١٤٨ بئراً ارتوازية نجح منها ١٠٨ آبار تعطى قدراً كافياً من المياه العذبة .

وتقوم الحكومة السعودية الآن بإنشاء السدود للاستفادة من تخزين مياه الأمطار والسيول . وقامت شركة سعودية بإصلاح سد المدينة ، وأتمت وزارة الزراعة السعودية دراسة سدود منطقة جيزان بالاشتراك مع هيئة الأغذية والزراعة وسيبدأ تنفيذ المشروع قريباً . وقامت وزارة الزراعة بتنفيذ سد عكرمة بمنطقة الطائف ، وتدرس الآن إقامة سد فى وادى حنيفة وسدود أخرى فى الرياض .

ويقول الأمير سلطان بن عبد العزيز - وزير الزراعة السعودية - فى زيارته الأخيرة لمصر : إن الأراضى القابلة للزراعة فى المملكة تقدر بنحو ثلث المساحة الكلية إذا توافرت لها المياه ، ويدرسون مشروعاً لتشجير وزراعة الأراضى الواقعة على الطريق بين الحرمين . وقد أنشأت الحكومة مصنعين لتعبئة التمور على أحدث الطرق أحدهما فى المدينة والآخر فى الأحساء ؛ واستوردت من مصر والبلاد العربية الأخرى ٤٠ ألف شتلة من الموالح وأنواع الفواكه الأخرى والخضر . وبدأت المملكة السعودية تعنى بتربية الحيوان وأنشأت بعض محطات لتربية الدواجن إلى غير ذلك مما لم يكن لهذه البلاد عهد بمثله من قبل .

مرافق النظافة فى الحج

كانت الحكومة المصرية قد تقدمت إلى الحكومة السعودية بمشروع يكفل إنشاء مرافق الطهارة فى مجامع الحج ، وذلك بإقامة مغاسل وأماكن وضوء ومراحيض فى الأماكن التى يزدحم فيها الحجيج بمكة ومنى وجبل عرفات والمدينة ، وقدرت نفقات ذلك بمبلغ ٢٧٠ ألف جنيه ، وكانت الحكومة المصرية ترغب فى أن يكون ذلك تبرعا منها للأراضى الطاهرة . فلما عرض المشروع على جلالة الملك سعود استحسنه وأمر بتنفيذه فوراً على حساب الحكومة السعودية وحدها مكتفيا من الحكومة المصرية بالمساهمة فى رسوم التصميمات والمعاونة ببعض المهندسين الذين يشرفون على التنفيذ .

مكتبتنا العربية

تليفون الحواز

مصر — سوريا

افتتح يوم آخر جمعة فى شوال أول خط تليفونى بين مصر والمملكة العربية السعودية وجرى أول حديث تليفونى فيه بين الملك سعود فى قصر الحوية بالطائف والرئيس جمال عبد الناصر فى القاهرة ، واستغرق الحديث ربع ساعة . وفى اليوم التالى تحدث الملك سعود مع رئيس جمهورية سوريا ورئيس وزرائها فى دمشق .

تحريم الخمر بالهند

ينص دستور الهند على تحريم الخمر فى جميع أنحاء تلك البلاد ، وكانت سياسة الدولة ترمى إلى تطبيق هذا المبدأ بالتدريج ، فكان العمل به جاريا منذ عدة أعوام فى بومباى ومدراس وبعض الولايات الأخرى . وتقرر الآن تطبيقه فى ولاية دهلى عاصمة البلاد ابتداء من يوم ذكرى مولد غاندى (٣ يونيه) فيمنع تعاطى المشروبات الروحية فى الملاهى ، والمقاهى ، والأندية ، وسائر المحال العامة - باستثناء الفنادق الكبرى التى يقيم فيها الأجانب ويستثنى من أحكام هذا القرار الدبلوماسيون والأجانب والذين تقضى لهم الضرورة الطبية . وبعد ثلاثة أعوام سيكون المنع من تعاطى الخمر منعا شاملا .

ما بين الصفا والمروة

عزمت الحكومة السعودية على تيسير السعى لحجاج بيت الله الحرام فيما بين الصفا والمروة بإغلاق جميع الدكاكين المتصلة بهذا الطريق أثناء الموسم القادم ، حتى إذا انتهى الموسم شرعت فى هدم هذه الدكاكين والمبانى القائمة حول الحرم المكى .

أمريكا والحلف العربى

دلت الاتجاهات الأخيرة على أن الولايات المتحدة الأمريكية أخذت تتراجع عن الاستمرار فى تنفيذ سياستها فى الشرق الأوسط لإقامة منظمة للدفاع عن مصالحها بعد أن فشلت سياستها فى الضغط على بعض الدول العربية للانضمام إلى حلف تركيا - العراق ، وهو الحلف الذى كانت أمريكا تعتزم الانضمام اليه . ويقال إن الحكومة الأمريكية أرسلت إلى سفيرها فى سوريا تعليمات بوقف المحاولات التى كان يبذلها لضم سوريا إلى حزام الدفاع الشمالى . وفى أخبار واشنطن أن أمريكا رفضت عقد حلف دفاعى مع اسرائيل ، وقيل إنها أخذت تتجه إلى توثيق التعاون مع الحكومة المصرية وتأييد الحلف العربى الجديد الذى يضم مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية واليمن بعد أن أيقنت أن ذلك أكفل لمصلحة الغرب .